رسالة إلى الأخت سوزان التي أسلمت

محمد عيسى داود

أنطونيو معمار

- قسيس من أرخبيل الملايو بأندونيسيا
كيف اهتديت إلى الإسلام؟

المستشار إيكاروس

- كل الدلائل تؤكد أن الإسلام دين الله الحنيف

المسيو إتيين دينيه

- يصبح ناصر الدين!!

الكاتبة الأمريكية اليهودية مريم جميلة
قصة إسلامي

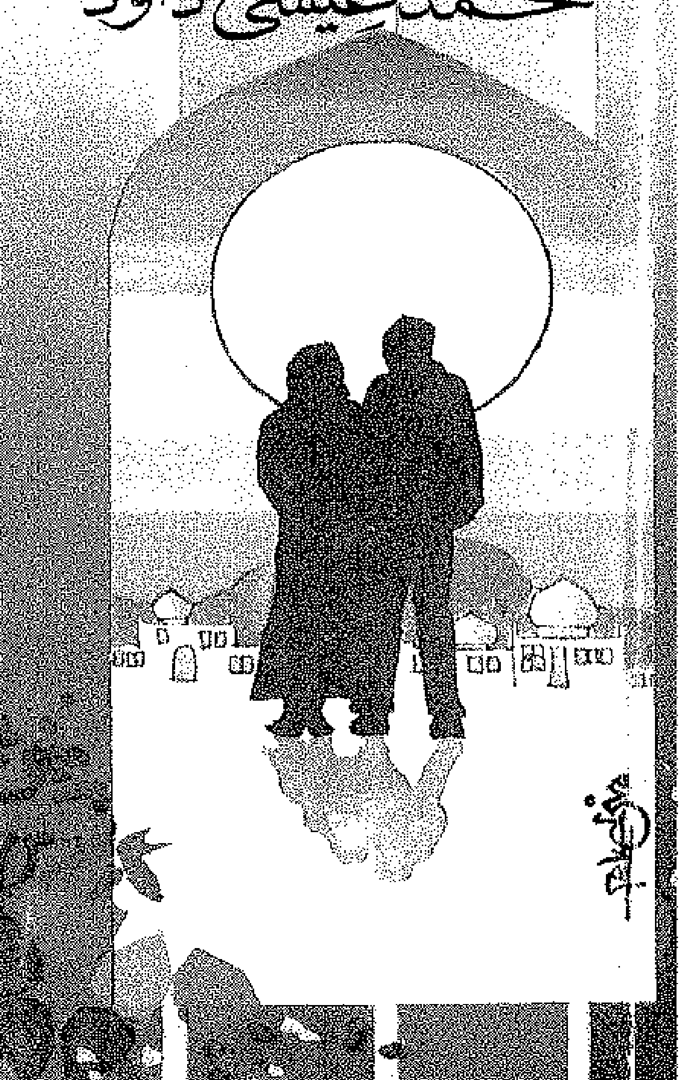

محمد عيسى داود

رسالة إلى الأخت سوزان التي أسلمت

أنطونيو مقار

- قيس من أرخبيل الملايو بأندونيسيا كيف اهتديت إلى الإسلام؟

المستشار إيكاروس

- كل الدلائل تؤكد أن الإسلام دين الله الحنيف

المسيو إتين دينيه

- يصبح ناصر الدين!!

الكاتبة الأمريكية اليهودية مريم جميلة
قصة إسلامي

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة - مصر الجديدة
القاهرة - ت ٢٤٧٩٨٦٢٤ فاكس ٢٤٨٠٤٨٣

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية :
مكتبة الساعي
الرياض ت ٤٣٥٢٧٦٨ - فاكس ٤٣٥٥٩٤٥٠
فرع جدة - تليفون ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة - ت ٣٢٣١٤٣٤
المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة ابن سينا

نافذتك على الفكر العربي
والعالمي بما تقدمه لك من روائع
الكتب العلمية والفنية والتراثية
التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة .

يديرها ويشرف عليها
مهندس / مصطفى عاشور

الإهــداء

إلى الباحثين عن الحقّ ..

إلى الراحلين لمدن الحقيقة ، تاركين خلفهم كل زيوف الدنيا ..

إلى الذين استضاءت قلوبهم وعقولهم وأرواحهم بهداية الله ..

إلى الذين اختزنت قلوبهم نبضات الحقيقة ، وزلزل كيانهم انتفاش الباطل وغروره .

إلى الذين يتحدُّون الخرافة ويوقظون عقولهم من خدَر اللامعقول ..

أهدى هذا الكتاب ، قنديلاً يضىء فى الظلمات لمن أراد الذكرى أو التفكر أو إحسان السعى فى هذه الحياة نحو قضيته المصيرية (الدين والتدين) ..

محمد عيسى داود

لماذا هذا الكتاب ؟

أراد الزواج من فتاة مسيحية . وكان لى معهما جلسات ، خلالها تسربت أشعة الإسلام الوضاءة إلى قلبها وعقلها ، وأقبلت على دين الله الإسلام . وشاء الله أن تسافر مع زوجها للعمل بالمملكة العربية السعودية حيث كنت أعمل رئيس صفحة الفكر الإسلامي بجريدة مكة المكرمة (الندوة) . وأرسل إلىّ خطاباً يشكرني على ما سلف من محاورات إقناعية لزوجه ، ولكنه يطلب المزيد من المعلومات وزوجه تريد رسالة أو كتاباً سهل الأسلوب ، واضح البيان ، مقنع الحجة . ففكرت فى تدوين هذا الكتاب البسيط ؛ أعرض فيه للعقيدتين : الإسلامية والمسيحية فى إيجاز تام ، وأناقش بعض إدعاءات وتأويلات ومغالطات أثرت فى أختنا التى أسلمت حين كانت تستمع أو تقرأ لبعض القساوسة . ثم ذيلّت هذا بعرض بعض الشخصيات الشهيرة أو المغمورة ممن أعلنوا إسلامهم . سائلاً الله تعالى أن ينفعها به وينفع من حذا حذوها أو كان داعية لله ـــ عز وجل ـــ .

﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾

[غافر : ٤٤]

﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

[هود : ٨٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

* وحدانية الله من البديهيات التى يدركها الإنسان بفطرته ، دون جهد عقلى ، فهى ليست من مسائل العلوم المعقدة ، أو مما يستلزم التفكير العميق .

وليس يصح فى الأذهـــان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وقديماً قال العوام : « المركب التى لها رئيسان : تغرق » أو « السفينة التى لها ربانان تغرق » .. فالإدراك العامى لوحدانية الله لم يكلّف نفسه شططاً بَلْهَ أن يفكر فى ثالوثيته الموحدة .. أو وحدانيته المثلثة .

والغريب أن يحاول بعض دعاة المسيحية إشاعة ما يلزم بأن نسميه (حديث خرافة) ؛ إذا أصروا ـــ بالإكراه والمغالطات ـــ على ربط المسيحية بالإسلام ، وإكراه الإسلام على الاعتراف بالتثليث ـــ وهو أبعد ما يكون عنه .

والواقع الذى لا مرية فيه أنهم لم يُحْسِنُوا إلى أنفسهم بفتحهم هذا الباب كما وهموا ، فلا هم نالوا من الإسلام شيئاً كما أرادوا ، ولا فتنوا أحداً عنه ـــ من المسلمين .

فالمسألة لا تعدو أن غِرّا جاهلاً ـــ أو مستجهلاً ـــ ناوشته أمانيه المكظومة وخيالاته المهوشة ومغالطاته المريضة ، فراح يطاول القلاع الشم ويحاول خلع الجبال الراسيات ..

ونحن لا نقبل الاستفزاز أو الدخول فى مهاترة ؛ لأننا نحن المسلمين مأمورون بالصبر على أهل الذمة ومجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ، علاوة على ما لنا معهم من نسب ورحم وصلة ومجاورة وأخوة فى الوطن والإنسانية .

*** أختى سوزان ...**

قبل الرد على أولئك الذين حاولوا خداعك بالمغالطات ، أود أن أبيِّن لك الفرق الشاسع بين عقيدة المسلمين فى ذات الله ، ثم عقيدة المسيحيين .

● لمّا قيل للنبيّ — ﷺ —: صف لنا ربّك ؟!...

أوحى الله — تعالى شأنه — إليه بسورة الإخلاص .. سورة التوحيد ..

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحد * اللهُ الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكُنْ لَهُ كُفُواً أحد ﴾ .

فهو أحدٌ : في ذاته وصفاته وأفعاله ، جميع الخلائق والأمور فى قبضته وحده ، لا يعاونه معين ، ولا يشير عليه مشير أو وزير .

وهو الصمد : الغنيُّ الذى يقصده الناس فى حوائجهم .

لم يلد : لم ينبثق عنه ولد ، فسيولوجياً ولا بما لا يعرف أحد كنهه ؛ فهو ليس بحاجة إلى الولد ، أو تقسيم ذاته إلى أقانيم : الابن واحد منها .

ولم يولد : لم ينبثق عن غيره لأنه لا أول لوجوده . لم تحمل به امرأة ، ولم يمكث ببطن امرأة ، ويمر من رحمها نازلاً إلى الحياة الدنيا ، متجسداً فى صورة بشر ، لِيُصَلّبَ ويهان ، ويقذف بالأقذار ، وأقسى ما اخترعه البشر بقاموس اللعنات والشتائم ، وليموت ويقوم من قبره بعد ثلاثة أيام ليجلس عن يمين أبيه ، بعدما فدى خطايا البشر .

ولم يكن له كفواً أحد : **﴿ ليس كمثله شىء ﴾** .. لا شبيه له ولا نظير يقاس عليه ، من أصابع إنسان أو شمعة أو شمس أو تفاحة ، كما سأوضح لك فيما بعد .

فهو — عز وجل — ليس بصورة ، ولا بجسم محدود ، ولا معدود ، ولا متبعض ، ولا متجزىء .. ولا متناه .. ولا متلون .. ولا متكيف ..

لا يُسأل عنه بمتى كان ؟!.. لأنه خالق الزمان ..
ولا يُسأل عنه بأين هو ؟!.. لأنه خالق المكان .

وكلُّ ما خطر ببالك فهو هالك ، والله بخلاف ذلك ؛ والقول الفَصْلُ فى ذاته جلّ وعلا : هو ما وصف به نفسه : **﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾** [الشورى : ١١] .

● أما عقيدة المسيحيين فى الله : فخلاصتها أنه مثلث الأقانيم ، موحّد الذات ،

وأقانيمه الثلاثة آلهة : فالآب إلـٰه ، والابن إلـٰهٌ (إشارة لألوهية المسيح) ، والروح القدس إلـٰه ، يضاف إلى ذلك : تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر لِيُصْلَبَ تكفيراً للخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر ، والخطايا التي ارتكبها أبناؤه من بعده .. وتميز الإلـٰه الابن بالرحمة ؛ فقد ترك الإلـٰه الآب للإلـٰه الابن حساب الناس على خطاياهم ، ولقربه لفهم الإنسان بعد تمثله فى صورته .

● ويرى فلاسفة المسيحية أن الله المكوّن من ثلاثة أقانيم ـــ والأقانيم : كلمة سريانية الأصل ، مفردها أقنوم ، وهي تعنى شخصاً أو كائناً مستقلاً بذاته ـــ تتوحد أقانيمه فى ثلاثة عناصر هى : الذات والنطق والحياة .

فالله موجود بذاته ..
ناطق بكلمته ..
حيٌّ بروحه ..

فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سُمِّىَ الآب ، وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس .

ـ وأنا لست بصدد الرد على هذا الكلام غير المعقول ، فهذا له موضعه ، ولكننى أحببت أن أريك البساطة فى العقيدة الإسلامية ، والتعقيد فى العقيدة المسيحية .

فى الإسلام : إلـٰه واحد ، لا شريك له ، كامل كُلَّ الكمال . مُنَزَّه عن كل نقص .

فى المسيحية : إلـٰه هو الآب وثانٍ هو الابن ، وثالث هو الروح القدس ، والآب هو نفسه الابن ، والثلاثة مع ذلك إلـٰه واحد .

وهذا الكلام هو شطر الإيمان فى المسيحية .

أما الشطر الآخر مما لا يتم إيمان المسيحي إلا به : فهو الاعتقاد بأن الإلـٰه الابن صُلِبَ كى يرضىٰ الإلـٰه الآب عن أولاد آدم وارثى الخطيئة عن أبيهم !!

ولمّا كان الإلـٰه الآب هو ذاته الإلـٰه الابن ؛ فمعنى هذا هو أن الإلـٰه قتل الإلـٰه ليرضى الإلـٰه . أو بعبارة أخرى : الله قتل الله ليرضى الله !!!

* الأخت سوزان ...

أنتقل الآن إلى كتاب اسمه (الحق) . ألّفه القمص (باسيليوس إسحق) فهل كان ما فى كتاب الحقّ حقّاً أم كالقبر حفته الزهور وتحته عفن دفين ؟!..

إن الكتاب عبارة عن محاولة باطلة للتوفيق (بالقوة والإكراه وتحميل المعانى ما لاتحتمل) . بين التوحيد الذى قدمناه ، والتثليث المسيحى الذى عرضنا محتواه .

يقول القمص ضمن محاولاته الساذجة (صفحة ١٢٢) :

« إن البسملة الإسلامية وهى : بسم الله الرحمن الرحيم ، تؤيد التثليث ، فالله هو الآب ، والرحمن هو الابن ، والرحيم هو الروح القدس » .

والواقع أن الردّ على هذا الكلام الاعتباطى ميسور ، فباسيليوس هذا ، قد نسى أو بالتعبير الأدق والأكثر صراحة : تناسى ، أن كُلاً من صفتى « الرحمن » و « الرحيم » لله ــ عز وجل ــ، هما صفتان من الصفات التى لا تُحصَى لله الواحد الأحد ، وليست جزءاً أو أقنوماً من أقانيم الله .

فلله عزّ وجلّ الأسماء الحسنى والصفات العُلَى ، وله المثل الأعلى . وصفاته ــ سبحانه وتعالى ــ إن دلت على شىء فإنما تدلنا على قدرته وعظمته وقداسته وتنزهه وتفرده وحده بالربوبية والتعظيم .

● وربما يكون من المفاكهة القياس على رأى باسيليوس ، فيُستَدَلُّ من القرآن الكريم ، ليس فقط على التثليث بل على التسبيع ..!!

خذ مثلاً بهذه السذاجة المتعمدة أو ببلاهة مقصودة أول سورة غافر :

﴿ حمٓ ‌ٍ تنزيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز العليم ‌ٍ غافر الذنبِ وقابل التَّوب شديد العقاب ذى الطَّوْل لا إلٰه إلا هُوَ إليه المصير ﴾
[غافر : ١ ــ ٣] .

بل من الممكن أن يجرفنا الضلال والزيغ ، فنقول : إن القرآن الكريم يثبت وجود (سبعة عشر أقنوماً أو إلٰهاً) ؛ وذلك بما ورد فى آخر سورة الحشر التى ورد بها سبع عشرة صفة أو اسماً من أسماء الله الحسنى ..

﴿ هُوَ الله الذى لا إلـه إلا هو عالم الغيبِ والشهادة هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا إلـه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عمَّا يشركون • هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يُسبِّحُ له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾
[الحشر : ٢٢ ـ ٢٤]

ولو مددنا حبال السير مع هذا التأويل المريض ، لقلنا بوجود تسعة وتسعين أقنوماً أو إلـهاً فى الإسلام ؛ فى حديث رسول الله محمد ـ ﷺ ـ : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة »[1] .

[روها مسلم والترمذى وقال : حديث صحيح] .

وفى رواية للإمام البخارى : قال ـ ﷺ ـ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة . وقال : ما أصاب عبداً همٌّ ولا حَزَنٌ فدعا بهذا الدعاء إلا أذهب الله هَمَّه وحُزنه وأبدله مكانه فرجاً »[2] .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

* هو الله الذى لا إلـه إلا هو الرحمن الرحيم الملكُ . القدوسُ . السلامُ . المؤمنُ . المهيمنُ . العزيزُ . الجبارُ . المتكبرُ . الخالقُ . البارىءُ . المصورُ . الغفارُ . القهارُ . الوهابُ . الرزاقُ . الفتاحُ . العليمُ . القابضُ . الباسطُ . الخافضُ . الرافعُ . المعزُ . المذلُ . السميعُ . البصيرُ . الحكمُ . العدلُ . اللطيفُ . الخبيرُ . الحليمُ . العظيمُ . الغفورُ . الشكورُ . العلىُ . الكبيرُ . الحفيظُ . المقيتُ . الحسيبُ . الجليلُ . الكريمُ . الرقيبُ . المجيبُ . الواسعُ . الحكيمُ . الودودُ . المجيدُ . الباعثُ . الشهيدُ . الحق . الوكيل . القوىُ . المتينُ . الولىُ . الحميدُ . المحصىُ . المبدىءُ . المعيدُ . المُحيى . المميتُ . القيومُ . الواجدُ . الماجدُ . الواحدُ . الأحدُ . الصمدُ . القادرُ . المقتدرُ . المقدمُ . المؤخرُ . الأول . الآخرُ . الظاهرُ . الباطنُ . الوالى . المتعال .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الذكر ، حديث [٦] .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الدعوات حديث [٦٤١٠] .

البَرُّ . التوابُ . المنتقمُ . العفوُ . الرؤوفُ . مالكُ الملكِ ذو الجلالِ والإكرامِ . المقسطُ . الجامعُ . الغنيُّ . المغنيُّ . المانعُ . الضارُّ . النافعُ . النورُ . الهادي . البديعُ . الباقي . الوارثُ . الرشيدُ . الصبورُ . *

ومعنى حفظ اسماء الله الحسنى المراد فى الحديث ليس تسميعها عن ظهر قلب : إنما تكون منهج حياة ، فهناك أسماء تتعلق بذات الله — عز وجل — لا يصح أن نتخلّق أو نتسمّى بها ، وهناك أسماء للتخلق يجب أن نعيها ونتخلق بها . إذ يمكن أن نقول لصديق لنا : أنت « رحيم » . ولكن لا يجوز أن أقول : أنت « رحمن » . كذلك يستحب لكلّ امرىء أن يكون ودوداً رحيماً كريماً نافعاً رشيداً صبوراً برّاً حفيظاً حليماً ، إلى آخر ما يجوز التخلق به كأبناء لآدم — عليه السلام — ولا يجوز أن يكون الإنسان متكبراً أو مذلاً إلى آخر ما لا يجوز إلا فى حقّ الله — عز وجل — .

أما الحقيقة فى أسماء الله — فى الإسلام — فإنها ليست ذات الله ، إنما هى صفاته العليا التى نتعرف إليه جلّ وعلا بها ، وليس فى طاقة الإنسان أن يتعرض للحديث عن ذات الله ، والله سبحانه سمى نفسه بما سماها ، وجميع الأسماء إلى ربّك منتهاها .

● وإلى هنا أختى سوزان .. أترك القمص (باسيليوس) يراجع نفسه ، على أن أعود إليه مرةً أخرى نفند بعض آرائه الأخرى .

والآن مع كتاب آخر اسمه (**رسالة التثليث والتوحيد**) ، لمؤلفه (يسى منصور) ، الذى يحاول إثبات الثالوث إسلامياً ، والبرهنة عليه من القرآن ..

ومن ترهاته التى أوردها قوله (فى صفحة ١٠٥) : « إن الإسلام يذكر حوالى تسعة وتسعين اسماً لله . أى أن صفات الله نحو ٩٩ صفة ، وهذه الصفات متباينة ومختلفة تناقض إحداها الأخرى بحيث لا يمكن التوفيق بينها فى الذات الواحدة إلا إذا آمنّا بالتثليث .. فمن أسماء الله الحسنى : الضار المنتقم ومنها العفوّ الرءوف ومنها القدوس البار .. » ..

ويستطرد الكاتب العبقرى !! :

« كيف يكون الله منتقماً وغافراً معاً ..؟!.. فالمنتقم يدل على انتقامه من

المذنب انتقاماً بلا تساهل .. أما الغفور فيدل على تبريره للمذنب تبريراً شاملاً » ..

وكاتبنا الفذ يلمح طبعاً إلى التناقض الموجود بين الصفتين ، لغرض في نفس يعقوب . ينكشف خَبِئُهُ بقوله :

« إنه لا يمكن التوفيق بين هذه الصفات المتناقضة إلا بالقول بالتثليث » !!
وكاتبنا الألمعى هذا يقصد ماذا ؟!..

يقصد أن نقوم بتوزيع أسماء وصفات الله الحسنى على أفراد الثالوث الإلٰهى .. بحيث يكون لكل أقنوم أو إلٰه من آلهة الثالوث عدة أسماء وصفات متوافقة مع بعضها ، وإن اختلفت مع أسماء وصفات الإلٰه الآخر ؛ فيكون الله الآب ــ مثلاً ــ هو الضار المنتقم ، ويكون الله الابن هو العفوّ الرءوف الغفور ، ويكون الله الروح القدس هو القدوس البار .

والحقيقة التى لا بد معرفتها أن هذا الكلام يكشف عن فكر ساذج ومغالطة حمقاء ، لحمتها السذاجة ، وسداها الوهم .

إن الأستاذ (يسى منصور) على ما فى كلامه من خلط ، قد فتح على نفسه باباً لا يُسَدّ .. أنه يعتنق هنا مذهب (الثنوية) ، الذى كان منتشراً فى بلاد الفرس القديمة إبان الوثنية ؛ والذى كان يقول بأن للعالم إلٰهين : أصل الخير وهو (أهُورَ) أو (أهور مزدا)، وإلٰه الشر وهو (أهْرِمَنْ) وهما فى نزاع دائم مستمر .. ولكن صفاته التى تضاد الآخر ؛ فهذا إلٰه النور ، وذاك إلٰه الظلام ، وهذا إلٰه الحرب وذاك إلٰه السلام .. وهكذا ..

والأستاذ (يسى منصور) فى انسياقه وراء المذهب الثنوى الوثنى قد هدم الأساس الأول الذى بنيت عليه عقيدة الثالوث من حيث أراد تبريرها وتدعيمها .

ــ ذلك أن عقيدة الثالوث مؤسسة على الاعتقاد بمشابهة المخلوقات للخالق ؛ وبأن البشر والحيوانات والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء كإلٰه الثالوث تماماً .. فالمماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق هى الدعامة الأولى لعقيدة الثالوث .

ـ ونحن إذا أخذنا الإنسان صورة الله ومثاله كما تقرر نظرية الثالوث ؛ لوجدناه يتصف بعدة صفات متباينة مختلفة ، وبعدّة خصائص متغايرة متعارضة ، يظهر أيٌّ منها وقت الحاجة إليه وتبعاً للظروف التي تقتضى ظهوره .

فمن صفات الإنسان مثلاً العطف والحنان والقسوة والانتقام .. والإنسان نفسه قد تدعوه الظروف تارة إلى القسوة وتارة أخرى إلى الرحمة ..

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً
فَلْيَقْسُ أحياناً على من يرحم

فالجندى الذى يكون رحيماً عطوفاً مع ابنه الصغير ، هو نفسه الجندى الصلب القاسي مع أعداء وطنه ومستعمريه ..

والمدرس الذى يقسو على طلابه الخاملين هو ذاته الذى يتفجر عطفاً وحباً وحناناً على الطلاب النابهين أو ذوى المشاكل والحاجة ..

وهكذا بالنسبة لسائر صفات وخصائص الإنسان .. ولم يقل أحد مطلقاً أن من يقسو لظرفٍ ما لا يرحم لآخر .. ولم نسمع من قبل أن من يحب شخصاً لا يكره آخر !! بلهَ الوحوش المفترسة ، التى أودعت فيها عواطف القوة والقسوة كثيراً ما تتحول من التوحش إلى الوداعة ، ومن العنف إلى اللطف ، فالأسد الذى ينقضّ فى شراسة على فريسته لينهش لحمها ويفتت عظامها هو ذاته الأسد الذى ينساب ليونة وعطفاً فى تدليل زوجته ، وهو عين الأسد الذى يعتصره الألم عند فقد وليده .. وهو كما هو فى كافة حالاته وبجميع صفاته وخصائصه المختلفة المتباينة .

ـ وعقيدة الثالوث ترى أن هذه المخلوقات المتعددة الصفات ما هى إلا صورة للخالق الذى خلقها على صورته وشبهه ، ولكن يبدو أن الأستاذ (يسى منصور) يرى أفضلية الإلـٰه وكماله فى حرمانه من الصفات والملكات المتعددة التى تملكها المخلوقات ؛ بحيث يلزم لخلق إنسان ـ مثلاً ـ متعدد الصفات والملكات أن يشترك فى خلقه وصنعه عدة آلهة أو مجموعة أقانيم ، يمنحه كلّ منها صفته الخاصة ، وإحدى قدراته الذاتية .. وبهذا تتجمع الصفات فى المخلوق وتتفرق فى الخالق .

إذا لم يكن هذا هو الضلال .. فماذا يكون الضلال ؟!..

✱ خبريني ياسوزان ..

إنما القرآن الكريم يقرر أن كافة الصفات والقدرات والأسماء التى لا تحصى ولا تعد ـــ والـ ٩٩ اسماً التى ذكرناها ـــ هى لإلٰه واحد لا شريك له ولا مثيل ، وأن هذه الصفات والأسماء ليست هى ذات الله ، وإنما هى طريق لمعرفته ، ودليل على قدرة الله وتفرده بالقوة والعظمة .. يقول : الله جلّ جلاله : ﴿ **ولا تدْعُ مع الله إلٰهاً آخر لا إلٰه إلا هو كل شىء هالك إلّا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ [القصص : ٨٨]

✱ أختى الفاضلة سوزان ...

أعود لمناقشة القسيس (باسيليوس) فى كتاب (الحق) ـ ولا يختلف على الحق منصفان ـــ، فالقسيس الفاضل ـ يقوم باستجلاب بعض الألفاظ الدارجة التى يتلفظ بها العامة فى محافلهم العامة ومجالسهم الخاصة ، ثم يقوم بتحميل تلك الألفاظ فوق ما تحتمل أو تطيق رغبة منه فى إلصاق تهمة التثليث بها وهى براء ..

يقول (باسيليوس) : « إن القسم المغلظ الذى يقسمه المسلم قائلا : والله العظيم ثلاثة ؛ فإنما يقسم بالآب والابن والروح القدس .. » ..

ويتمادى فى مغالطاته قائلاً : « وإذا طلق المسلم زوجته طلقة بائنة فإنه يطلقها ثلاثاً ؛ أى أنه يطلقها باسم الآب والابن والروح القدس » ..

ثم يستطرد القمص العبقرى قائلاً : « إن المسلم يفتتح صلاته بالتكبير قائلاً (الله أكبر) ، والمقصود بذلك مقارنة الله بآخر من ذات جنسه ونوعه ، وأن المسلمين بذلك يعتنقون المذهب المسيحى القائل بأن أقنوم الآب أعظم من أقنوم الابن » ...

ثم يفترى على الله الكذب مدعيّاً ورود استدلالاته ـــ المتهافتة المتداعية ـــ فى القرآن الكريم ، وأنها تدل على إيمان المسلمين بالثالوث .

● وإذا تركنا جانباً عواطف الدهشة والاستنكار ، وحاولنا مناقشة كلام القمص باسيليوس من الناحية الموضوعية ؛ لأدركنا على الفور ولأول وهلة أنه كلام ساذج أكاد لا أتصور نجاحه به فى خداع الأغرار والبسطاء بَلْه

المثقفين والعلماء ، إذ لا علاقة للقرآن الكريم بأحلام القمص الثالوثية فى تحوير معانى كلمات دارجة أو أقوال معلومة ..

فمسألة قسم المسلم ثلاثاً ، أو نطقه لفظ الطلاق قارناً إياه بقوله (ثلاثاً) بشيء لم يرد فى القرآن الكريم ، ولم يوص به رسول الله محمد ـ ﷺ ـ.

ومن ناحية أخرى ـ ولنكون موضوعيين ونذهب مع القمص إلى غاياته ـ إذا سلمنا بأن هذه الألفاظ قد يستعملها الناس مسلمين وغير مسلمين فى أحاديثهم ؛ فإنه لا علاقة لشيوع هذه الألفاظ بالإسلام ولا صلة بينها وبينه من قريب أو بعيد ـ باستثناء التكبير فى افتتاح الصلاة وسنورد فيه رأينا ـ، بل ولا صلة بينها وبين توهمات القمص باسيليوس واسقاطاته المذكورة .

فالمسلم حين يقسم بالله العظيم مرة واحدة تكفى ، ولا يكرر قسمه ـ فى العادة ـ مرتين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك إلا لتأكيد عزمه على الوفاء بقسمه ، أو أن كلامه لا يحتمل دعابة أو كذباً .

أما ما أُثِرَ عن النبىّ ـ ﷺ ـ فى مسألة القسم ، فقد روى ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : كانت يمين النبى ـ ﷺ ـ: « **لا وَمُقَلِّب القلوب** »[1] . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا اجتهد ـ أى : بالغ ـ فى الدعاء قال : « **والذى نفس أبى القاسم بيده** »[2] ..

وما أَلفِتُ إليه الانتباه : إن هذه الألفاظ تخضع فى صيغتها ، وعدد مرات تكرارها للبيئة والعرف والعادات الاجتماعية ، بل أنها تختلف من بلد لآخر ، وإن كان القسم فى الإسلام مرة واحدة ما لم تدع لذلك ضرورة أو مواقف .

وإلا فإننا لا نستبعد أن يخرج علينا القمص بتخاريج جديدة ؛ كأن يقول : والقول الشائع (المرة الثالثة ثابتة) يدل على التثليث ، إلى آخر ما قد يرد به لفظ (ثلاثة) من أقوال العامة !!

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد ؟ حديث [٧٣٩١] وأحمد فى المسند [٢٦/٢ ، ٦٧ ، ٦٨] .

(٢) أخرجه أبو الشيخ عن ابن عمر كما فى كنز العمال ، حديث [١١٨٦٧] .

ووجه العجب فى هذه المحاولة الساذجة أن نعمل على إثبات أو نفى عقيدة دينية تتعلق بذات الله .. بماذا؟!... بالاحتكام إلى ألفاظ عامية أو أمثال شائعة ابتدعها الناس بحكم معاملاتهم المادية واحتكاكاتهم السوقية ..

● أما القول بأنه إذا نطق المسلم بلفظ الطلاق ثلاث مرات أو ألقى يمين الطلاق على زوجته ثلاثاً ؛ فإن هذا يعتبر طلاقاً بائناً وأن المسلم يعنى بذلك الحلف بالآب والابن والروح القدس ؛ فلا شك أنه كلام ساقط لا يستند إلى دليل من دين أو قانون يجرى عليه العمل ، بل لو قال القمص مثل هذا الكلام أمام أى مسلم بسيط عامى علمه لا يتجاوز السنة الأولى الابتدائية لاستمع القمص إلى ما لا يسره ..

فالعبرة فى الطلاق ليست بتكرار الألفاظ أو بترديد الكلمات ، وإنما العبرة أولاً وأخيراً هى بتعدد المرات التى يقوم فيها المسلم من حيث الواقع بتطليق زوجته وإعادتها إلى عصمته . فمهما عدّد المسلم أيمان الطلاق ومهما كرر التلفظ بصيغة الطلاق مرة أو مرات ؛ ثلاثاً أو عشراً أو عشرين ، فمادام أنه يطلق زوجته ـــ من حيث الواقع ـــ للمرة الأولى فإن طلاقه هذا لا يعتبر بحال من الأحوال طلاقاً بائناً .

والمعلوم فى الشريعة الإسلامية أن الطلاق يكون مرة واحدة وبلفظة واحدة ، ولذلك فإن الفقه الإسلامى قسم الطلاق إلى قسمين : طلاق سنة ، وطلاق بدعة .

أما طلاق السنة : فهو الذى يوافق ما جاء به الشرع الإسلامى الكريم ، وفحواه أن يطلق الزوج زوجته المدخول بها طلقة واحدة ، فى طهر لم يمسسها فيه ، لقوله جل شأنه : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾[البقرة : ٢٢٩] ومعنى هذا أن الطلاق المشروع يكون مرة يعقبها رجعة ، ثم مرة ثانية يعقبها رجعة ثانية ، ثم يكون للمطلِّق ـــ بكسر اللام المشددة ـــ الاختيار التام بين أن يعيد مطلَّقته ـــ بفتح اللام المشددة ـــ بمعروف ، أو يفارقها بإحسان .

أما طلاق البدعة : فهو طلاق مخالف للشرع ، كأن يطلق المسلم زوجته ثلاثاً بكلمة واحدة ، وهو ما ذكره القمص وفى العادة يحدث هذا

بين العامة والدهماء . ومنه أيضاً : أن يطلقها ثلاثاً متفرقات فى مجلس واحد ، كأن يقول : أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق . أو أن يطلق المسلم زوجته فى حيض أو نفاس ، أو فى طهر جامعها فيه .

والتلفظ بالطلاق مقروناً بالتثليث متفق على حرمته إسلامياً ، بل من العلماء من قال بأنه غير واقع ، وأغلب الذين قالوا بوقوعه اعتبروه طلقة واحدة لرواية الإمام مسلم فى صحيحه : أن أبا الصهباء قال لابن عباس : « ألم تعلم أن الثلاث كانت تجعل واحدة على عهد رسول الله ـــ ﷺ ـــ، وأبى بكر ، وصدراً من خلافة عمر ؟ قال : نعم » .

وعن عكرمة عن ابن عباس ـــ رضى الله عنهما ـــ قال : « طلق ركانة امرأته ثلاثاً فى مجلس واحد . فحزن عليها حزناً شديداً . فسأله رسول الله ـــ ﷺ ـــ: كيف طلقتها ؟ قال : ثلاثاً . فقال : فى مجلس واحد ؟ قال : نعم . قال : « **فإنما تلك واحدة . فأرجعها إن شئت ، فراجعها** »[1] .

وقد علّق العلاّمة ابن تيمية ـــ ج٣ ص٢٢ من كتابه الفتاوى الكبرى ـــ على هذا الحديث قائلاً : « وليس فى الأدلة الشرعية : (الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس) ، ما يوجب لزوم الثلاثة له ، ونكاحه ثابت بيقين ، وامرأته محرمة على الغير بيقين ، وفى إلزامه بالثلاث إباحتها للغير مع تحريمها عليه ، وذريعة إلى نكاح التحليل الذى حرّمه الله ورسوله ، ونكاح التحليل لم يكن ظاهراً على عهد النبّى ـــ ﷺ ـــ، وخلفائه ، ولم يُنْقَل قط أن امرأة أعيدت بعد الطلقة الثالثة على عهدهم إلى زوجها بنكاح تحليل . بل لعن النبى ـــ ﷺ ـــ المحلّل والمحلل له .... » إلى أن قال : « .... وبالجملة فما شرعه النبى ـــ ﷺ ـــ لأمته شرعاً لازماً ، لا يمكن تغييره ، فإنه لا يمكن نسخ بعد رسول الله » .

وقال تلميذه ابن القيّم : « قد صح عنه ـــ ﷺ ـــ أن الثلاث كانت واحدة فى عهده ، وعهد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ وصدراً من خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ، وغاية ما يُقَدَّر مع بُعْدِه أن الصحابة كانوا على ذلك ، ولم يبلغه ، وهذا وإن كان كالمستحيل ، فإنه يدل

(١) أبو داود فى سننه ، كتاب الطلاق ، حديث [٢١٩٦] .

على أنهم كانوا يُفْتُون فى حياته وحياة الصّدّيق بذلك وقد أفتى هو ـــ ﷺ ـــ. فهذه فتواه وعمل أصحابه كأنه أخذ باليد ، ولا معارض لذلك . ورأى عمر ـــ رضى الله تعالى عنه ـــ، أن يحمل الناس على إنفاذ الثلاث عقوبة وزجراً لهم ـــ لئلا يرسلوها جملة ـــ وهذا اجتهاد منه ـــ رضى الله عنه ـــ غايته أن يكون سائغاً لمصلحة رآها ـــ ولا يجوز ترك ما أفتى به رسول الله ـــ ﷺ ـــ، وكان عليه أصحابه فى عهده وعهد خليفته ، فإذا ظهرت الحقائق فليقل امرؤٌ ما شاء » .

● أما التكبير والتعظيم لله الكبير العظيم الذى يفتتح به المسلم صلاته بقوله : « الله أكبر » ، فلا يعنى هنا مقارنة الإلـٰه الآب بالإلـٰه الابن كما يسفسط بهذا القمص ، وإنما يعنى أن الله أكبر وأعظم من كل ما ومَنْ فى الوجود . ويعنى أن المصلى أثناء وقوفه بين يدى الله تعالى إنما ينصرف عن شئون دنياه إلى ما هو أكبر من أمور حياته كلها بل ومن دنياه ، وهنا نقف على حكمة الإسلام فى اختياره لكلمة (الله أكبر) مفتتحاً بها الصلاة والنداء عند الأذان للصلاة والإقامة لها وفى الانتقال بين الركوع والسجود والوقوف فى الصلاة ..

فكلمة « الله أكبر » عند الأذان .. معناها : هيا أيها المسلم إلى ما هو أكبر من همومك ومشاغلك . ومعنى « الله أكبر » عند افتتاح الصلاة : أن المسلم قد أقبل على ما هو أعظم وأجل من مشاغل دنياه ..

فالانصراف إلى الصلاة وجمع النية عليها يستشعر المسلم أنه قد حطم الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان وخرج منها إلى روحانية .
إلا بالله وحده ..

فالله وحده هو الأكبر والأعظم والأغنى والأعلى من كل ما فى الوجود ..

ولم يدر بخلد إنسان عاقل ما يقوله القمص « باسيليوس » من أن هذا الإكبار والإعظام لله يعنى مقارنة بين إلـٰهين أحدهما أكبر أو أعظم من الآخر ..

وحاشا لمؤمن أن يتردى فى هذا الضلال ..

وبعد الفلسفة العقيمة التى أتى بها القمص باسيليوس ، إذا به يفتح على نفسه باباً هو أوسع من يُسَدّ .. فقد أورد جملة لا يمكن إغفالها ؛ هذه الجملة

ترينا مدى التناقض الواسع فى أقوال « باسيليوس » ..

فبعد هذا الشرح المستفيض لعقيدة الثالوث وادعاء اعتناق الإسلام لها ..

يعود القمص فيقرر عدم فهمه وإدراكه لحقيقة الثالوث .. فماذا قال القمص المتناقضُ فى أقواله : قال : « أجل .. إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا .. ولكن عدم إدراكه لا يبطله » ؟!

وهنا : نسائله ... ونسائل كل من يعقل :

أولاً : كيف يؤمنُ المرء بعقيدة لا يفهمها ...؟!

ثانياً : كيف يمكنك أن تشرح لغيرك ما لا تفهمه أنت ؟!

ثالثاً : كيف تحاول أن تجبر غيرك على الاعتقاد بما لا يفهم ولا تفهمه أنت ؟!

● ثم كيف يصل التمادى بهذا القس إلى ادعاء اعتناق دين التوحيد الأسمى لعقيدة الثالوث .. التى ما جاء الإسلام ، إلا لتحرير العقول والقلوب من أدرانها وترهاتها ...؟ أسئلةٌ ..

الجواب عنها أجلى مِنَ الشمسِ فى ضُحاها .. وأسطعُ من القمرِ إذا تلاها .. وأوضّح من النّهارِ إذا جلاها .. ومن عارض عاشَ فى ليلٍ إذا يغشاها ...!!

✽ أختى الفاضلة سوزان ...

أنا واثق من أن القس (باسيليوس) وإخوانه الذين يحاولون التوفيق بين الوحدانية والتثليث ، يعلمون فى قرارة أنفسهم أنه لا حقّ سوى : لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله . وإن لم يكونوا يعلمون فليعلموا أن الله ــ عز وجل ــ قال : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً فَلَن يُقبَلَ مِنه وهو فى الآخرة مِنَ الخاسِرِين** ﴾ [آل عمران : ٨٥]

وما من إلـه إلا إلـه واحـد

الإله فى العقيدة المسيحية
والعقيدة الإسلامية

□ هل ارتقت العقيدة المسيحية بتصور الألوهية المثلثة أم تاهت فى بحر التشبيهات والتجسيدات ؟

□ ما هو المفهوم الذى جاء به القرآن الكريم لذات الإلـه ؟

﴿ لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثة . وما من إلـٰه إلا إلـٰه واحد ﴾ [المائدة : ٧٣]

المسيحيون كما قُلنا يعتقدون أن الله الواحد .. مكون من ثلاثة أقانيم أو ثلاثة عناصر ..

وهذه العناصر الثلاثة هي : الذات والنطق والحياة .. والذات هي الله الآب .. والنطق هو الله الابن .. والحياة هي الله الروح القدس .. ومع ذلك فالثلاثة واحد ..

● ولكي يقربوا صورة الله لأذهاننا وتخيلاتنا .. بماذا شبهوا الله ؟!

شبهوه أولاً بالإنسان .. ثم شبهوه بالتفاح .. وأحياناً بالشمس .. وأحياناً بالشجرة وأحياناً بينبوع الماء وأحياناً بفتيل الشمعة ..

ـــ ويرى فلاسفة المسيحية أن الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله ..

فكما أن الله مثلث الأقانيم .. كذلك فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر ..
فكما أن الله ذات كونية كذلك .. فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله .

وكما أن الله ناطق كذلك .. فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله .
وكما أن الله حي كذلك .. فالإنسان حي على صورة الله ومثاله ..

● هكذا ..

ينظر دعاةُ الثالوثِ إلى الله .. الذي ليسَ كمثلهِ شيء . المنزه عن مشابهة الكائنات .. فيشبهونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان ..

إن الله في نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تاماً ..

والله ناطق بكلمته كالإنسان كذلك ..

وهو حي بروحه كالإنسان أيضاً ..

ومن هذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة يتكون الله كما يتكون الإنسان تماماً .. « الذات والنطق والروح » ..

● ومع ذلك فبقليل من التأمل ..

سنلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا وبخلوا بها على الله ..

فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر الثلاثة السابقة هذا إذا لم تكن تفوقها أهمية ..

فالإنسان مثلاً مبصر بعينيه .. سميع بأذنيه .. رحيم بقلبه .. مفكر بعقله .. مشير بيده .. متحرك برجله ..

وبالاستمرار فى ذكر العناصر والأجزاء التى يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنه قد تفوق فيها على الله خالقه !!

... ليس هذا فقط ..

بل أكثر من ذلك ..

إن هذه العناصر الثلاثة التى تفضل دعاة الثالوث بمنحها لله وهى الكيان والنطق والروح . قد منحوها له بشروط وأوضاع خاصة ..

فالمسيحيون قد قسموا الله إلى ثلاثة أقسام .. منحوا كل قسم منها صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر ..

فى حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها فى الإنسان الواحد ولا تجتمع فى الله .. أهناك بعد ذلك عجب ...؟!!

فبينما نجد أن الإنسان كائن بذاته دائماً .. وناطق بكلمته دائماً .. وحيّ بروحه دائماً نجد الله لا يكون كائناً بذاته إلا حين يسمى الآب ..

فإذا تخلت عنه صفة الأبوة .. وتحول فأصبح ابناً .. تتخلى عنه وتسقط عنه صفة الكينونة والذات .. ويصبح فقط ناطقاً بكلمته ..

كذلك إذا تحول الله إلى روح قدس تخلت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حيًّا بروحه .

● وهكذا يتحول الله .. ويتغير طبقاً للدور الذى يظهر به .. وتبعاً للاسم الذي يخلع عليه .. سبحان الله .. سبحانَ الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ..

إن الله سبحانه .. أكبرُ من أن يُقاسَ بالناس .. وأعظم من أن يدخُلَ تحتَ القياس .. وأجلُّ من أن تُدركَهُ الحواس ..

يُشبهُ بالإنسان !!!

وما الإنسان ؟!..

﴿ فلينظر الإنسان ممَّ خُلِق * خُلِق من ماءٍ دافقٍ * يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ [الطارق : ٥ ــ ٧]

﴿ الذى أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثُمَّ جعلَ نسلهُ من سُلالةٍ من ماء مهين * ثُمَّ سواهُ ونفخَ فيهِ من روحهِ وجعلَ لكُمُ السمع والأبصارَ والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ [السجدة : ٧ ــ ٩]

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنَّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾[الإنسان : ١ ، ٢]

● الله .. الذى : ﴿ ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهُوَ السميعُ البصير ﴾ [الشورى : ١١]

يُشبهُ بالإنسان .. استغفر الله العظيم ..

هو أولٌ هو آخرٌ هو ظاهرٌ   هو باطنٌ ليستِ العُيونُ تراه
حجبتهُ أنوارُ وأسرارُ الجلالِ   فدونه تقفُ الظنون وتخرسُ الأفواه
صمدٌ بلاَ كُفءٍ ولا كيفيـــةٍ   أبداً لا نُظراءُ ولا أشبـــــاه
وعنت الوجوه للحي القيـــوم   وله وحده تسجُدُ الجبـــــاه
لا معبـــــــودٍ بحقٍ غيره   والكلُ تحت قهره وهو وحده الإله

وياليتهم شبهوا الله بالإنسان وسكتوا ..

بل إن منهم من تجاوز الحدود .. وتعدى القدر وشبه الله بالتفاحة ..

بالتفاحة ؟!.. نعم .. بالتفاحة ..!!

وكيف ذلك ؟!

● يقول فلاسفتهم فى ذلك :

« كما أن التفاحة لها ثلاثة خواص هى الذات والطعم والرائحة .. ويمكن

التمييز بين هذه العناصر الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة .. فالرائحة مثلاً غير الذات والطعم ..

والذات هى علة ـ يعنى سبب ـ الطعم والرائحة .

وكما أن التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الابن والروح والقدس . فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله ..

والإنسان عندما يأكل التفاحة فإنه يأكل الذات وبحاسة الذوق يميز الطعم وبحاسة الشم يميز الرائحة » .

● والردُ على هؤلاء أسهل من سابقه .

لأنهم نسوْا أن التفاحة لها أيضاً لون يميزه الإنسان بحاسة الإبصار .. فما رأيهم لو أضفنا لله أقنوماً رابعاً هو أقنوم اللون ؟!

كما أن للتفاحة أيضاً ملمساً ونعومة يميزها الإنسان بحاسة اللمس ..!!

كما أن للتفاحة حجماً وشكلاً معيناً .. فهل نضيف أقانيم أخرى لله قياساً على عناصر وخواص التفاحة ؟!!

أتريدون إثبات الثالوث عن طريق تشبيه الله تارةً بالإنسان وتارةً بالتفاحة .. وتارةً بالشمس ..؟!!

وهل الله يغرب .. ثم يعود فيشرق .. ثم يعود ليغرب ؟!...

إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ عن نفسهِ فى كلمات موجزة المبنى .. ولكنها معجزةُ المعنى ..

﴿ **لَيْسَ كمثلهِ شيءٌ . وهُوَ السميعُ البصير** ﴾ [الشورى : ١١] .. أى أن ذاته سبحانه وتعالى فوق متناول العقول ﴿ **لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ [الأنعام : ١٠٣]. ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً** ﴾ [طه : ١١٠] ..

فى هذه المفاهيم عاش الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم ..

فلقد اهتدوا بفطرتهم إلى أنه لا جواب ولا صورة ولا تشبيه لله إلا ما يجده المرء فى قلبه وفى كيانه كله من تقديس الله وإجلاله ونسبة الكمال المطلق كله إليه ..!!

﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [السجدة : ٤] .

لما سئل الغزالى عن المقصود بقوله تعالى : **﴿ ثُمَّ استوى على العرش ﴾** ..

قال الغزالى : « سبحان من استوى على العرش كما أخبر . على الوجه الذى أراد .. وبالمعنى الذى قال : استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار وعن التمكن والحلول والانتقال ..

وليس العرش يحمله .. ولا الكرسى يسنده .. بل العرش وحملته والكرسيُّ وعظمته كُلٌّ محمولٌ بلطف قدرته ومقهور فى قبضته » ..

يامن تشبهون الله بمخلوقاته ...

ما هى الروح ؟! وما شبهها ؟؟

وأنا واثق أنكم لن تجيبوا على هذا السؤال ..

فإذا ما كنتم لا تعرفون حقيقة الروح التى تحيون بها فكيف تتعرضون للكلام فيمن ليس كمثله شيءٌ سبحانه ؟!

● ولذلك لما سُئِلَ يحيى الرازى وقيل لَهُ : أخبرنا عن الله تعالى ..؟!

فقال : إنَّهُ واحد .

فقيل : كيف هو ؟! فقال : ملِكٌ قادر ..

فقيل : أين هو ؟! فقال : بالمرصاد ..

فقال السائل : لم أسألك عن هذا ؟!

فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق . فأما صفته ـ عزَّ وجلَّ ـ فما أخبرت عنه .

● وقال جعفر الصادق — رضى الله عنه —:

من زعم أن الله سبحانه وتعالى : فى شيء .. أو من شيء .. أو على شيء فقد أشرك بالله .

إذا لو كان على شيء لكان محمولاً ..

ولو كان فى شيء لكان محصوراً ..

ولو كان من شيء لكان محدثاً .. تعالى الله عن ذلك » .

● وقال بعض العلماء لتلميذ له يمتحنه : لو قال لك أحدٌ أين معبودك ؟! فأى شيء تقول ؟!

قال : كنت أقول : حيث لم يزل .

قال الأستاذُ : فإن قال لك فأين كان فى الأزل فأى شيء تقول ؟

قال : أقول : حيث هو الآن ولا مكان .. فهو الآن على ما عليه كان .

فارتضى الشيخ ذلك ..

ـ لقد اهتدى الصحابة والتابعون إلى أن العقل لا يستطيع أن يدرك أو يحيط بذات الله ..

لأن العقل لو قدر على الإحاطة بالخالق جل وعلا .. لأصبح الخالق مقدوراً عليه .. وأصبح الإنسان قادراً وانعكستِ الآية ..

● والقرآن الكريم جاء ليدل الناس على الله .. ويعرفهم به ويدعوهم إلى إفراده بالوحدانية واختصاصه بالعبادة ..

ولكن هذا الإلٰه .. لا بد أن يكون له مفهوم فى عقول الناس حتى يعرفوه .. وحتى يأنسوا به ومن هنا .. كان لابد أن تقيم الشريعة الإسلامية « مفهوماً » للإلٰه فى عقول الناس كى يكون « الله » حقيقة يؤمنون بها ويتعاملون معها .

والسؤال : الذى يطرح نفسه الآن ..

ما هو المفهوم الذى جاء به القرآن لذات الإلٰه ؟

أهو مادى ؟ أو معنوى ؟ وهل هو محدود أو مطلق ؟

... لقد كان صنيعُ الإسلام فى هذا الأمر الخطير آية الآيات ومعجزة المعجزات الدالة على صدق الرسالة المحمدية وعلى أنها متلقاة من أحكم الحاكمين رب العالمين !!

وننظر فنرى عجباً عجاباً .. حكمة بالغة .. وتدبيراً محكماً .

فأولاً : لم يكن مفهوم الألوهية ـ فى شريعة الإسلام ـ مفهوماً مادياً .. لأنه لو كان كذلك لتجسد الإلـٰه ...

ولو تجسد .. لتحدد .

ولو تحدد .. لوقع فى دائرة الحس وفى محيط النظر ولأصبح شيئاً من الأشياء العادية .. ولأصبح يحويه مكان وتفرغ منه أمكنة .. ويراه خلق ، ويغيب عن خلق ، وذلك مما يذهب بجلال الذات وينزل من قدرها ، ويسقط من هيبتها ..

إن أكبر شيء نراه .. ونرى امتداد سلطانه فى الوجود هو « الشمس » وقد كانت يوماً من الأيام إلـٰه الآلهة .. ولكن العاقل الرشيد لا يقبل أن يكون الإلـٰه مُحيزاً .. يحضر ويغيب ..

فهذا إبراهيم ـ عليه السلام قد نظر إلى القمر .. ومن قبله النجم .. فلما أفلاَ قالَ : ﴿ **لا أحبُ الآفلين** ﴾ [الأنعـام : ٧٦] .. أى لا أقدسُ ولا أُجلُّ من يغيب ..

ـ ثم نظرَ إلى الشمس فلما أفلت التمس الإلـٰه فى غير الكواكب والشموس .

﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه ءازرَ أتتّخِذُ أصناماً ءالهةً إنّى أراكَ وقومَكَ فى ضلاَلٍ مُبين * وكذلك نرى إبراهيم ملكوتَ السمواتِ والأرض وليكونَ مِنَ الموقنين * فلمّا جَنَّ عليهِ الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربى فلمّا أفلَ قالَ لا أحِبُّ الآفلين * فلمّا رأى القَمَر بازغاً قالَ هذا ربى فَلَمّا أفَلَ قالَ لِئن لَمْ يهدنى رَبّى لأكُونَنّ مِنَ القومِ الضّآلينَ * فَلمّا رأى الشمسَ بازغةً قالَ هذا رَبى هذا أكبرَ فلمّا أفَلَتْ قالَ ياقومَ إنى برىءٌ مِمّا تُشرِكون * إنّى وَجّهتُ وَجهِىَ للذى فَطَر السمواتِ والأرضَ حنيفاً وَمَآأنا مِنَ المُشركين** ﴾
[الأنعام : ٧٤ ـ ٧٩]

وثانيا : لم يرتض الإسلام أن يكون مفهوم الإلـه أمراً « معنوياً » وفكرة مجردة مطلقة لا يدل عليها وصف .. ولا يدرك لها واقع تتجلى فيه فإنها لو كانت كذلك لما أمسك بها عقل ولا اطمأن إليها قلب ..

ومن أجل هذا لم يكن مفهوم الإلـه ـــ في شريعة الإسلام ـــ هذا أو ذاك لم يكن شيئاً مادياً كما لم يكن فكرة مجردة ..

وإنما اختار الإسلام لمفهوم الإلـه ـ في أذهان البشر ـ مقاماً وسطاً بين هذين .. بين التجسيد والتجريد ..

فإذا نظر الإنسان إلى الله في القرآن الكريم يجد « الله » سميعاً .. بصيراً .. عالماً .. قادراً .. حكيماً .. مريداً .. يُحيي ويُميت .. وهُوَ على كل شيءٍ قدير ..

قائم على الملك .. مُستوٍ على العرش والملائكة حافون من حول العرش .. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ..

فإذا نظر الإنسان إلى كتاب الله مرةً أخرى وجد أنه : ﴿ **ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهُوَ السميعُ البصير** ﴾ [الشـورى : ١١] .... وهذا المفهوم الجديد يعمل عمله فى تفكير الإنسان ..

فإن المفاهيم السابقة التى كانت قد بدأت تتشكل وتتجسد .. تأخذ فى « الذوبان » كما تذوب صخور الثلج فى قاع المحيطات .

أما حقيقة هذه الذات العظمى فأمر وراء كل ما نتصور ..

لأنك لو أدركت حقيقته لما كان يصلح أن يكون إلـهاً ؟!.. فمن عظمة الله أنك لا تدركه .

وإذا كان الله ـــ عزّ وجلّ ـــ يصفُ نفسه ويقول : ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ ..

إن الله يضربُ مثلاً بالنور .. والنور يجيء من الضوء ..

والعلم الحديث يقول : إن الضوء فى ذاته لا يرى .. وإنما ترى به الأشياء ..
فإذا ما كان النور وهو من خلق الله لا يُرى لذاته إنما ترى به الأشياء ..
فكيف ندرك خالقَ النور والأشياء جميعاً ؟!!
ولهذا نُهينا عن التفكرِ فى ذاتِ الله تعالى وصُرِفْنَا إلى التفكُرِ فى خلقهِ ..
ولهذا قال ـــ ﷺ ـــ بلسانِ اليقين ومنطق الحق المبين :
« **تفكروا فى خلقِ الله . ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا** » . [رواه البخارى ومسلم] .

وهذا يؤكد صدق عقيدة الإسلام وبطلان غيرها .
وصدق الله العظيم : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ﴾ [الحج : ٤٦] ، ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾ [النور : ٤٠] .

كيفَ يُعصى الإلــــهُ	**وكيفَ يجحدُهُ الجاحــــد**
وفى كلِ شىءٍ لَهُ آيـــةٌ	**تدلُ على أنَّهُ الواحــــد**

فهو سبحانه الحيُّ الذى لا يموت ..
الدائم الذى لا يفنى ..
القيوم الذى لا ينام ..
العزيز الذى لا يُضام ..
المنيعُ الذى لا يُرام ..
واحدٌ فى ذاتِهِ لا شريكَ له ..
فردٌ لا مثيل له ..
صمدٌ لا ضد له ..
متفرد لا ند له ..
دائم بلا انصرام ..
لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الكمال .. منزهاً عن الحلول والاتحاد

لا يحدُّهُ المقدار .. ولا تحويه الأقطار ..
ولا تحيط به الجهات .. ولا تكتنفه الأرضون والسموات .
لا تتصوره الأوهام .. ولا تقدره الأذهان .. لا تصل إلى كنهه الأفهام ..
عليمٌ بذاتِ الصدور .. وبيدهِ مقاليدُ الأمور ..
لا مؤخر لما قدم .. ولا مقدم لما أخر ..
ولا معقب لحكمه .. ولا راد لأمره .. ولا دافع لمشيئته ..
كل الخليقة مفتقرة إليه .. وهو يجير ولا يجار عليه .
عادلٌ فى حكمه وقضائه .. محسنٌ متفضلٌ فى جوده وعطائه .
حليمٌ لا يعجل .. جوادٌ لا يبخل .
حفيظ لا ينسى ..
وهو الذى أضحكَ وأبكى .. وأسعد وأشقى .. وأفقر وأغنى .. وله سبحانه الآخرة والأولى إنه الله ..
كانَ ولا مكانَ .. وهو على ما كانَ قبلَ خلقِ المكان .. لم يتغير عما كان ..
وعلم ما كان .. وعلم ما لا يكون .. وعلم ما سيكون . وعلم ما لا يكونُ لو كان كيف كان يكون .
ليس بجسم .. ولا صورة .. ولا معدودٍ .. ولا محدودٍ .. ولا متبعض .. ولا متجزىء .. ولا متناهى .. ولا متلون .. ولا متكيف ..
لا يُسأَل عنهُ بمتى كان ؟!.. لأنه خالقُ الزمان .
ولا يُسأَل عنه بأين هو ؟!... لأنه خالق المكان .
وكُلُّ ما خطر ببالك ، فهو هالك ، والله بخلاف ذلك ، والقول الفصل فى هذه المسألة هو قوله ـــ عز وجل ـــ: ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [الشورى : ١١]

* أختى الكريمة سوزان :

إن الإسلام بتصوره السامى واللائق لذات الله ، هو الحق ، لأنه من لدن الحق جلا وعلا .. وهذا يسرّ (لأبى حنيفة) النصرة على الملاحدة .. واسمحى لى بإيراد قصته فقد يكون فيها بعض التبصر لك ..

كان (أبو حنيفة) تلميذاً حدث العمر ، يأخذ العلم على شيخه (حماد) ..

وبينما التلميذ النابغة (أبو حنيفة) نائماً ذات يوم ؛ إذ رأى فى منامه (رؤيا) لها شأنها ..

● فما هى الرؤيا التى رآها (أبو حنيفة) .. وهو لا يزال تلميذاً ..

لقد رأى رؤيا عجيبة ..

ـ رأى خنزيراً يريد أن يأكل أو ينحت من ساق شجرة ..

فمال غصن صغير ضرب الخنزير ضربة موجعة .. فابتعد الخنزير صارخاً ..

ثم انقلب الخنزير فجأة ـ فى الرؤيا ـ إلى إنسان يجلسُ فى ظل هذه الشجرة يعبد الله .

وقام التلميذ الصغير (أبو حنيفة) من نومه متعجباً ..

ثم ذهب إلى شيخه (حماد) ليفسرها له ..

فإذا به يجد الشيخ مهموماً مغتماً

فسأله (أبو حنيفة) عن سبب حزنه وغمه ..

فقال الشيخ : جاء أشخاص ملحدون ـ يعتقدون أن الكون مخلوق بالطبيعة وليس له رب ـ إلى ملك هذه البلاد وقالوا له : أرسل أحد علماء الإسلام ليوضح لنا أن للكون إلٰهاً . فأحضرنى الملك إليهم .. واتفقنا على مكان وزمن نجتمع فيه لذلك ..

ونحن يابنى سنجادل فى إثبات ذات لا تراها العيون .. ولا تلمسها الأيدى لهذا أخشى الفتنة على الناس .

فإذا بالسرور يملأ وجه التلميذ (أبو حنيفة) .. وإذا به يقول لشيخه :

ـــ الآن .. عرفت تفسير رؤياى ..
فالخنزير رأس الملحدين ..
يريد أن ينحت ساق شجرة العلم .. وهى أنت ياأستاذى .
فمال غصن صغير .. وهو تلميذك .
وضرب الخنزير بحجته .. فأسلم وتتلمذ عليك .

● فأرجو ياأستاذى أن تدعنى أجادلهم .. فإن غلبتهم فما بالك بالأستاذ !!.. وإن غلبونى فأنا التلميذ الصغير .. ولو جادلهم الشيخ لغلبهم .

فقال الشيخ : على بركة الله .

وذهب التلميذ (أبو حنيفة) وقال للناس الملاحدة :

إن الشيخ أكبر من أن يأتى لمثل هذه المسائل الواضحة ..
ولهذا اختار أصغر تلامذته ـــ وهو أنا ـــ لمجادلتكم ..
وستجدون بعون الله إجابة أسئلتكم واضحة .

وابتدأ الاختبار ....!!

فى أى سنة وُلِدَ ربك ؟!

قال أبو حنيفة : اللهُ تعالى لم يولد .. وإلا كان لَهُ أبوان .. وكتابُ الله يقول : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

فقال زعيمهم : فى أى سنة إذن وُجِدَ ربك ؟!

فقال أبو حنيفة : الله تعالى لا يُسأَلُ عنهُ بمتى وجد .. لأنه خالقُ الزمان ..

فالله موجودٌ قبلَ الأزمنةِ والدهور .. لا أول لوجوده .. وهو خالق الأزمنة .. وهو خالقَ الأعوام ..

فقالوا له : نريد ضرب أمثلة من الواقع المحس .. لتوضح لنا الإجابة ..

لقال أبو حنيفة : إنى إذن سائلكم ..
... ماذا قبل الأربعة فى الأرقام الحسابية ؟!
قالوا : ثلاثة !!

قال : وماذا قبل الثلاثة ؟!

قالوا : اثنان !!

قال : وماذا قبل الاثنين ؟!

قالوا : واحد ..

قال : وماذا قبل الواحد ؟!

قالوا : لا شيء قبلهُ ..

فقال لهم : إذا كان الواحدُ الحسابيُّ الفانى لا شيء قبله .. فما بالكُم بالواحد الحقيقى وهو الله تعالى .. « إنّه قديمٌ لا أولٌ لوجوده » ..

فقالوا : فى أى جهةٍ يتجهُ وجه ربك ؟!

فقال لهم : لو أحضرنا مصباحاً فى مكانٍ مظلمٍ .. فى أى جهةٍ يتجه نوره ؟

قالوا : فى جميع الجهات ...!!

فقال لهم : إذا كان النور الصناعى الزائل لا جهة له ..

فوجه ربى جَلَّ وعلا مُنزهٌ عن الجهة والمكان .

قالوا له : عَرِّفنا شيئاً عن ذات ربك أهى صلبةٌ كالحديد .. أم سائلة كالماء .. أما غازية كالدخان والبخار ؟!..

فقال لهم : هلاّ جلستم بجوارِ مريض مشرف على النزع الأخير (الموت) ؟!

قالوا : جلسنا ...!!

قال : كان يكلمكم فصار ساكتاً بعد الموت .. وكان يتحرك فصار ساكناً .. فما الذى غير حاله ؟!

قالوا : خروج روحه ؟!

قال : هل أخرجت وأنتم موجودون معه ؟!

قالوا : نعم ..!!

قال : صفوا لى هذه الروح .. أهى صلبة كالحديد ؟! أم سائلةٌ كالماء ؟! أم غازيةٌ كالدخان والبخار ؟!

قالوا : لا نعرف شيئاً عنها ..!!

قال : الروح ـــ وهى مخلوقة ـــ لا يمكنكم الوصول إلى كنهها .. أفتريدون منى أن أصف لكم الذات الإلـٰهية ؟!

فقالوا لَهُ : فى أى مكان ربك موجود ؟!

فقال لهم : لو أحضرنا كوباً مملوءاً بلبن محلوب الآن .. فهل فى هذا اللبن سمن ؟! .

قالوا : نعم ..

قال : وأين يوجد السمن فى اللبن ؟!

قالوا : ليس له مكان خاص .. بل هو شائع فى كل جزيئات اللبن .

قال : إذا كان الشيء المخلوق وهو السمن .. ليس له مكان خاص . أفتطلبون أن يكون للذات الإلٰهية مكان دون مكان ..!! إن ذاك لعجيب !!

فقالوا لَهُ : إذا كانت كل الأمور مقدرة من قبل أن يخلق الكون . فماذا يفعلُ ربُك الآن ؟!

فقال : أمورٌ يبديها ـ يظهرها ـ ولا يبتديها ..

يرفع أقواماً ويخفض آخرين ﴿ **كلَّ يومٍ هُوَ فى شأنٍ** ﴾ [الرحمن : ٢٩] .

فقالوا له : إذا كان لدخول الجنة أول فكيف لا يكون لها آخر ونهاية « بل إن أهلها خالدون فيها » ؟!

فقال لهم : الأرقام الحسابية لها أول وليس لها نهاية .

فقالوا له : كيف نأكل فى الجنة ولا نتبول فيها ولا نتغوط ؟!

فقال لهم : أنا وأنت .. وكل مخلوق مكث فى بطن أمه تسعة أشهر يتغذى من غذاء أمه ولا يتبول ولا يتغوط ..

فقالوا له : كيف يتأتى أن تزداد خيرات الجنة بالإنفاق منها ولا يمكن أن تنفد ؟!

فقال : خلق الله شيئاً فى الدنيا يزداد بالنفقة منه ؛ وهو العلم . فكلما أنفقت منه زاد ولم ينقص ..

فقالوا له : أرنا ربك مادام موجوداً ...؟

وإذا ما كان الشيطان مخلوقاً من النار وسيعذب بالنار ؛ فكيف تُعذَّب النار بالنار ؟!.. وإذا ما كان الشرّ والخير مقدرين على الإنسان : فلم الثواب والعقاب ؟

فقال لهم : إن الإجابة على أسئلتكم الثلاثة تحتاج إلى وسائل إيضاح ..!

فقالوا : هات ما شئت من وسائل الإيضاح ..

ــ فمال والتقط (طوبة) من الأرض ، وهوى بها على رأس زعيمهم بضربة مؤلمة .. فاستنكروا ذلك ؛

فقال لهم: إنها وسيلة الإيضاح ..!!

فقالوا : كيف ؟

قال أبو حنيفة . هل أحدثت هذه الضربة ألماً ؟

فقال الملحد : نعم ...!!

فقال أبو حنيفة : وأين يوجد الألم ؟!!..

قال الملحد : فى الجرح ..

فقال أبو حنيفة : أظهر لى الألم الموجود فى الجرح فأظهر لك الرب الموجود فى الكون ..!! فسكت الملحد ..

فاستطرد أبو حنيفة : و (الطوبة) من طين .. وأنت مخلوق من طين .. فكيف عُذّب الطين بالطين ؟!

فصمت الملحد ..

فقال أبو حنيفة : وضربك مقدر فلم استغثت ليلحقوا بى العقاب ، ولم استنكرت ضربى لك ..؟!

وهنا لم يتمالك زعيم القوم نفسه ، فإذا به يقف هاتفاً بأعلى صوته : **(أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله)** ..

ولكنَّ زملاءه أحجموا ورفضوا أن يعلنوا إسلامهم ، فقال لهم أبو حنيفة :

فيا لك من آياتٍ حق لو اهتدى ... بِهِنّ مُرِيدُ الحق كُنّ هواديا
ولكن على تلك القلوب أكِنّة ... فليست ـ وإن أصغت ـ تجيب المناديا

مناقشة عقلية لفكرة الأقنومية

(للعقل أنوار إذا تفتح ،
وظلمات إذا تجمد)

□ إذا كان معنى كلمة (أقنوم) : شخص ، فما لزوم الأقنومين الآخرين فى الشركة الثالوثية ؟

□ لماذا وجود أكثر من إله واحد أحد سرمدى .. مستحيل ؟!

*** من عمل الصالحات .. ازداد عقلا**
ومن ازداد عقلا ... عرف الله
ومن عرف الله .. عرفَهُ الله
ومن عرفَهُ الله .. أحبَهُ الله

ومن أحبهُ اللهُ .. كان مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين .

ــ ذهبَ بلال بنُ رَبَاح رَضِيَ اللهُ عنه ليؤذن الفجر فى مسجد رسول الله ــ ﷺ ــ فإذا به يجدُ المصطفى ــ ﷺ ــ يبكى ..

فى هدأةِ الليل ..

فى سكونِ الليل .. فى وحشةِ الليل وجدَ الرسولَ يبكى ..

فقالَ بلالٌ : ما يُبكيك يارَسولَ الله ؟!

إن الرسول إذا بكى فالأمر جِدٌّ خطير ..

بلالٌ مؤذنُ رسول الله يسألُ رسولَ الله عما يُبكيه وهو يرى الدُموعَ الغوالىَ تفيضُ من عينين كريمتين ..

فقالَ لَهُ الحبيبُ المصطفى ــ ﷺ ــ :

« يابلال .. لقد أُنزلت علىَّ الليلةَ آيةٌ ويلٌ لمن قرأها بلسانِهِ ولم يتدبرها قلبُه »

آيةٌ أنزلت على حبيبِ الله ــ ﷺ ــ ..

أبكت عينيه .. وقال فى شأنها : **« ويلٌ لمن قرأها بلسانِهِ ولم يتدبرها قلبُه !!!**

ما هى الآية يابن عبدِ الله ؟!!

إنها قولُ الله تعالى :

﴿ إنَّ فى خلقِ السموات والأرض . واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

---

(١) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره وأورده ابن كثير فى تفسيره [١/٤٥٠] .

أعيدُ الآية مرة أخرى لمزيد من التدبر والتفكر ..

﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب ﴾ .

لآياتٍ ... لأصحاب العقول ..

وصدقَ من قال : « الناسُ رجلان ..

رجلٌ نامَ فى النور .. ورجلٌ استيقظَ فى الظلام » ..

﴿ لآياتٍ .. لأولى الألباب ﴾ .

لأصحاب العقول ..

ـــ ولأمر ما يقولُ الله تعالى :

﴿ هذا بلاغٌ للناس . ولينذروا به .. وَلِيَعْلَموا أنمَا هوَ إلهٌ واحدٌ وليذَّكر أولوا الألباب ﴾ .. [إبراهيم : ٥٢]

* أختى الفاضلة سوزان :

إن العقل أسمى ما أودع الله فى الإنسان من ملكات ..

وأعز ما يعتز به الناس من قدرات ..

وإن هذا العقل الذى يرشدنا فى كافة أمورنا .. ويقود خطانا فى جميع طرقنا .

إن هذا العقل الذى منحنا الله بواسطته القدرة على التحكم والسيطرة فى بقية المخلوقات والموجودات .

إن هذا العقل من حقه أن يدرك ما يلقى إليه من شرائع ومعتقدات ..

ومن حقه أيضاً أن يفهم ما يطلب منه اتباعه من قضايا ونظريات ..

فيفهم العقل للمعتقدات .. يستطيع أن يسير عليها فى اقتناع ويقين ..

ويمكن بعد ذلك أن يحاسب عليها فى وضوح وتبيين ..

ـ فإذا لم يستطع العقل أن يفهم شيئاً مما يُلقى إليه .. فإنه لا يمكنه أن يسير

عليه ويتبعه .. شيء لا يفهمه العقل قطعاً لن يتبعه .. شيء لم أفهمه .. لن أتبعه .. ولا يمكن لأحد أن يسألني أو يحاسبني في ذلك ..

وإلا جاز مساءلة البهائم والأحجار عن كافة شرائع الأرض والسماء ..

وهذا ما لم يقل به أحد ..

● إن العقل هو قبس العلم الإلٰهى غير المحدود .. وشعاع الحكمة الإلٰهية المتناهية ولذلك كان الحبيب المصطفى ـ ﷺ ـ يقول :

« **لكل شيء دعامة** » .. أى منزلة وأساس ..

« **لكل شيء دعامة .. ودعامة المؤمن عقله .. فبقدر عقله تكون عبادته .. أما سمعتُمْ قول الفجار فى النار : ﴿ لو كُنَّا نسمعُ أو نعقلُ ما كُنَّا فى أصحاب السعير ﴾** [الملك : ١٠]

والآن نعرض « قضية الثالوث » .. على العقل .

إننا . إذا عرضنا قضية الثالوث على العقل .. وحاولنا أن نناقش تفصيلاتها على ضوئه .. وأن نقربها إلى إدراكه .. فلا شك أن الفشل سيكون حليفنا فى كافة المحاولات ومهما بذلنا من مجهودات .

إننا إذا افترضنا مع أصحاب الثالوث أن هناك ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم إلٰهية أزلية نكون قد وضعنا أنفسنا أمام أمرين لا ثالث لهما .

فإما أن تكون هذه الآلهة الثلاثة قد اتفقت معاً على خلق الكون وترتيب نظامه .. وهذا هو الأمر الأول .

وإما أن تكون قد اختلفت فيما بينها حول ذلك واتفقت بشكل ما على تلافى الخلاف .. وهذا هو الأمر الثانى .. وسنناقشُ معاً الأمرين ..

فإذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن تقوم معاً بهذه المهمة .. فما معنى ذلك ؟!

إذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على خلق الكون وترتيبه فمعنى ذلك :

احتياج كل أقنوم أو إلٰه منها إلى الآخر ..
وعدم استقلال أى منها فى عمله ..

وعجز أى إلٰه منها عن القيام بالعمل وحده .. وهذا العجز ينفى عنه صفة الألوهية ذلك لأن العجز من صفات المخلوقات ..

أما الإلٰه فإنه لا يمكن أن يكون عاجزاً ولا أن تتوقف قدرته على سواه ..

﴿ إنما أمرهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ۝ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىءٍ وإليه ترجعون ﴾ [يٰس : ٨٢ ، ٨٣] .

ولفظة « ملكوت » بصياغتها هذه تضخم وتعظم حقيقة العلاقة بين مالك الملك ومالك الملوك وبين مخلوقاته العاجزة ..

إنها علاقة الملكية المطلقة لكل شىء فى الوجود .. والسيطرة القابضة على كل شىء من هذا المملوك .. ولهذا ... **﴿ إنما أمْرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾** .

فإذا رجعنا إلى الأمر الثانى .. وافترضنا أن الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت فيما بينها على تقسيم مهمة الخلق وعلى توزيع العمل فيما بينها ..

فيقوم الإلٰه « الآب » مثلاً بخلق السموات والسيطرة عليها .. ويقوم الإلٰه « الابن » بخلق الأرض والبحار والتحكم فيها ويقوم « الإلٰه الروح القدس » بخلق بقية الكون وتسيير دفته .. فما معنى ذلك ؟!

إن معنى ذلك : أن سلطة كل أقنوم أو إلٰه منها محدودة .. فيصدق على أحدها مالا يصدق على الآخر .. ويقدر أحدها على ما لا يقدر عليه الآخر ..

وهذا يتعارض أيضاً مع صفات الألوهية .. التى من مستلزماتها أن تكون سلطة الله وقدرته غير محدودة ..

﴿ إنَّ بطش ربك لشديد ۝ إنه هو يبدىءُ ويعيد ۝ وهو الغفور الودود ۝ ذو العرش المجيد ۝ فعال لما يُريدُ ﴾ [البروج : ١٢ — ١٦] .

﴿ فعال لما يريد ﴾ .. ﴿ كن فيكون ﴾ ..

إذن الأمران .. باطلان ..

فإذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن يقوم أحدها بالعمل وحده دون الإلـٰهين الآخرين ..

فيقوم الله « الآب » مثلاً بكل العمل وحده فحينئذ يكون الإلهان الآخران عاطلين أو عاجزين .. ويصبحان لا فائدة ولا قيمة لأيهما .. ولا داعى لوجودهما ..

لأن وجودهما لا يضيف جديداً إلى الحقيقة الإلـٰهية .. فلا يكون أى من الآخرين إلـٰهاً .. وبهذا فإن الأمران قد بطلا ..

● **ولكنني أريد أن أناقش « الثالوث » الآن من نواحٍ أخرى .**

[١] إننا إذا تصورنا وجود أكثر من أقنوم أو إلـٰه واحد فى الكون .. لكان كل إلـٰه منها متحيزاً بمكان خاص به ..

والمتحيز بمكان لا يكون أزلياً .. بل يكون حادثاً أى مصنوعاً ومخلوقاً ..

فلا يمكن بالتالى أن يكون أى منهم هو الله .

لأن الله لا يتحيز بحيز .. ولا يحده مكان .. ولا يحويه زمان ..

وهو سبحانه موجود منذ الأزل وليس حادثاً بعد زمن معين ..

تَنَزّهُ عن الشريكِ ذاتُه . وتقدست عن مُشابهةِ الأغيارِ صفاتُه .

بالبر معروف .. وبالإحسان موصوف .. معروفٌ بلا غاية .. وموصوفٌ بلا نهاية ..

ـ قيلَ للإمامِ علي كرمَ الله وجههُ : ياعليُّ صِفْ لنا ربَّك ؟!

فقالَ الإمامُ :

« سُبحانَ ربى .. لا يُدركُ بالحواس .. ولا يُقاس بالقياس ...
فوقَ كُلِّ شيءٍ .. وليسَ تحتَهُ شيء ...
وهُوَ فى كلِ شيءٍ .. لا كشيءٍ فى شيء ..
ليس كمثله شيءٌ .. وهو السميع البصير » .

إنهُ الله .. كانَ ولا مكان .. وهو على ماكانَ قبلَ خلقِ المكان .. لم يتغير عما كان .. وعِلَم ما كانَ .. وما هو كائن .. وعلم ما يكون .. وعِلِمَ ما

لا يكون لو كانَ كيفَ كان يكون ..

ليسَ بجسم .. ولا صورة .. ولا معدود .. ولا محدود .. ولا متبعض ولا متجزء . ولا متناهٍ .. ولا متلون .. ولا متكيف ..

لا يُسألُ عنه بمتي كان ..؟!... لأنهُ خالقُ الزمان ..

ولا يُسألُ عنهُ بأين هُوَ ..؟! لأنهُ خالقُ المكان ..

وكُلُ ما خطَرَ ببالِكَ .. فهُو هالك .. والله خلافُ ذلك .. والقولُ الفصل :

﴿ ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١]

[٢] ثم إنه من المعروف أن الكثرة لا توجد فى الكائنات إلا حيث يوجد الضعف والانقراض فيها .. وذلك لكى يحل أفرادها كل عوضاً عن الآخر عند انقراضه أو موته .. حفظاً لكيانها وإبقاء على نوعها .. فالإنسان منا يحتاجُ إلى الولدِ ليخُلدَ ذكراهُ بعدَ موتِه ..!!

والإنسانُ يحتاجُ إلى الولدِ ليجرىَ عليهُ الولدُ إذا ما كَبِرت سنُّ والدِه ..

والله تعالى موجود منذ الأزل إلى الأبد .. لا يضعف ولا يهرم ولا يشيخ ولا يموت ولا يتغير على الإطلاق .. ولهذا فإن الله حلّ مُشكلةَ الولديةَ بكلمة واحدة :

قال تعالى : ﴿ قالوا اتخذَ الله ولداً .. سبحانه .. هُوَ الغنى ﴾ .. [يونس : ٦٨]

نعم .. هُوَ الغنى ..

[٣] والحقيقة أن وجود أكثر من إله سرمدى واحد .. مستحيل .

ذلك لأن بلوغ الكمال المطلق فى صفةٍ من الصفات يمنع بلوغ كمال مطلق آخر فى تلك الصفة .. فلا يمكن أن يتحقق وجود كائنين كليهما يطابق الآخر .. ولا يتمايز عنه فى شيءٍ مطلقاً .

ـ بل إن التوائم إذا حدث واتحدت فى صفاتها الجسدية فلا بد أن تختلف فى صفاتها الخلقية والروحية ..

بل إن البشر على الأرض بآلاف الملايين ومع ذلك فإنه لا تطابق فى أى منهم مع أخيه ..

وخطوط الناس مهما تقاربت فإنها تتمايز .. والأصوات مهما تشابهت فإنها تتمايز ..

كما أن بصمات الأصابع وأوراق الأشجار وحباتُ الرمالِ لا تتشابه أبداً ..

بل إن حدث تشابه فإنها لا تتطابق ...!!

وبالتالى .. فإنه لا يمكن وجود مماثلة أو مطابقة أو مشابهة تامة بين أى كائنين فى كافة الصفات والقدرات .. وذلك لأنه عند التعدد لابد من التمايز والتغاير ..

فيريد أحد الكائنين ما لا يريده الآخر .. ويعمل أحدهما ما لا يعمله الآخر ..

ويقدر أحدهما على ما لا يقدر عليه الآخر ..

وبالتالى فإنه لا يمكن أن ينتظم مع هذا التغاير والتمايز نظام واحد ..

وذلك لأن وجود أكثر من إلـٰه واحد فى الكون سيكون مدعاة إلى وجود التنافس والتنازع بين الآلهة ..

إما فيما بينها حول الرئاسة والزعامة والأفضلية لأى منها على الآخر .

وإما حول اختصاصات وسلطات ووظائف كل أقنوم أو إلـٰه منها بالنسبة للآخرين ..

وإما حول خلق المخلوقات وإفنائها أو رفعها وخفضها أو إسعادها وإشقائها .. أو غير هذا وذاك ..

● بل إن هذه الخلافات أقر بحدوثها فعلاً أصحاب الثالوث بين أقانيمهم الإلـٰهية وذلك بمناسبة الحديث عن غفران خطيئة آدم ..

ماذا قالوا ؟!

قالوا : إن الله الآب وهو (الحاكم القاضى) قد أصدر حكمه بالموت والهلاك والشقاء على آدم ونسله من البشر ، وذلك لعصيانه ربَّه وأكله من الشجرة المحرمة ..

ولكن الله (الابن) (وهو المخلص الفادى) لم يوافق على هذا الحكم . فقام بإلغائه وأمر بتخليص البشرية وغفران خطاياها .

أما الله (الروح القدس) (وهو المقدس المحيى) فيبدو أنه انحاز إلى جانب الله « الابن » فى معارضة حكم الله « الآب » فقام بتقديس وإحياء الخطاة والآثمين ..

كل هذا رغم إرادة الآب الحاكم القاضى !!

أليس هذا عجباً ...؟!

هذه الخلافات التى تحدث بين الأقانيم الإلـٰهية المتعددة والتى لابد من حدوثها بين كل اثنين قد تكون فيها الطامة الكبرى على الكون والبشر ..

إن أى تغير أو انحراف فى حركات الكواكب أو المجرات أو النجوم فيه القضاء على الوجود كله فكيفَ الحال بصراع الآلهة ..

من ياترى تكون له الغلبة منها ؟!

ومن هم مؤيدوا كل إلـٰه فى نزاعه مع زملائه ؟!

ومن هم ضحايا هذا النزاع من المخلوقات ؟!!

أسئلة كثيرة تحير العقول !!

والقرآن الكريم كفانا هذه الأسئلة . وحل المشكلة كلها بقوله تعالى :

﴿ ما اتَّخَذَ اللهُ من وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ من إلـٰه إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلـٰه بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْض سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

نعم .. إن وجود أكثر من إلـٰه واحد مدعاة للتناحر بين الآلهة ..

بل هو مدعاة لانحياز كل إلـٰه لمخلوقاته وتفضيلهم وتقريبهم على مخلوقات غيره ..

فهذا يحيى مخلوقاته ، ويفنى مخلوقات غيره ..

وهذا يغنى مخلوقاته ، ويفقر مخلوقات غيره ..

وهذا يسعد مخلوقاته ، ويشقى مخلوقات غيره ..

إلـٰه يبنى ، وآخر يهدم .. إلـٰه يرفع ، وإلـٰه يخفض !

وهكذا ستتعدد الميول .. وستتغاير الآراء .. وستتمايز النزعات بين الآلهة .

إن هذا التعدد الإلـٰهى سيكون مدعاة إلى التنافس والتزاحم بين الآلـٰهة حول الأفضلية والتقدم .. وحول الرئاسة والزعامة ..

وفى هذا يخاطب القرآن العقل الإنسانى .. ويعرض حجته على العالمين :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٤٢] ..

نعم .. لا إلـٰه إلا الله .. سُبحانهُ وتعالى عَمَّا يَقُولونَ عُلوًّا كبيراً ..

لا آلِهَةَ معَ الله .. وإلا لشاركوه فى ملكه .. ولنازعوه فى سلطانه ولزاحموه فى عرشه ولكن لا إلـٰه إلا الله .. مالك الملك .. الجبار المهيمن الذى لا يزاحمه فرد ولا يطاوله أحد .

ثم يقدم القرآن الكريم بعد ذلك الدليل العقلى الواضح الذى يؤكد استحالة وجود أكثر من إلـٰه واحد فى الكون .

فيقول عن السموات والأرض : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

أى لو كانَ فى السموات والأرض آلهة تدبر أمرها غير الخالق ــ عز وجل ــ لاختل نظامهما لتنازع المشرفين عليهما ..

لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف ..

نعم .. إن تعدد الآلهة يؤدى إلى انقسامها وتنازعها ..

وفى خضم هذا الصراع تفسد السموات والأرض ، وتفنى الموجودات ،

ويحل بالكون الدمار والفناء .

إن كل هيئة أو منظمة أو مؤسسة أو دولة فى الوجود ليس لها سوى رئيس أو قائد واحد ..

فالدولة رئيسها واحد .. والطائرة قائدها واحد .. والسفينة إذا قادها اثنان غرقت والوحدانية هى طبيعة النظام .

فالعقل لا يقبل أن يتحكم فى الكون أكثر من قوة واحدة ..

إن الخالق واحد ؛ لأن الكون كله مبنى من خامة واحدة وبخطة واحدة ..

فالحياة كلها بنيت من مركبات الكربون على مقتضى خطة تشريحية واحدة ..

بل إن تشريح الضفدعة والأرنب والحمامة والتمساح والزرافة والحوت يكشف عن خطة تشريحية واحدة : نفس الشرايين والأوردة وغرفات القلب .. ونفس العظام .. كل عظمة لها نظيرتها ..

الجناح فى الحمامة هو الذراع فى الضفدعة .. نفس العظام مع تحور طفيف ..

والعنق فى الزرافة على طوله نجد فيه نفس الفقرات السبع التى نجدها فى عنق القنفذ ..

والجهاز العصبى هو هو فى الجميع : يتألف من مخ وحبل شوكى وأعصاب حس وأعصاب حركة ..

والجهاز الهضمى هو هو يتكون فى الجميع : من معدة و « اثنى عشر » وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة ..

بل إن الجهاز التناسلى هو هو : نفس المبيض والرحم والخصية وقنواتها .

والجهاز البولى أيضاً نسخة واحدة : الكلية والحالب وحويصلة البول ..

ثم بعد ذلك نجد أن الوحدة التشريحية فى الجميع هى الخلية ..

وهى فى النبات كما هى فى الحيوان كما فى الإنسان .. نفس المواصفات .. تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد بنفس الطريقة ..

فأية غرابة بعد هذا إذا قلنا : إن الخالق واحد ..

ولماذا يتعدد الكامل ؟!!

وهل به نقص ليحتاج إلى من يكمله ..؟!..

إنما يتعدد الناقصون .. وهم المخلوقات .. للحفاظ على النوع من الموت والانقراض .. البشر يتعددون .. لأن الموت يفنيهم ..

أما الله ـــ عز وجل ـــ فهو الحيُّ الذى لا يموت .. وهو الكامل الذى لا ينقص .. فلماذا يتعدد ؟!

ـــ ولذلك لما مات الإمامُ مالكُ بنُ أنس عليهِ رضوانُ الله .. وهُوَ إمامُ دارِ الهجرة ..

رآهُ أحدُ أصحابهِ الصالحينَ فى المنامِ بعدَ موتهِ فى روضٍ من رياضِ الجنة ..

فسألَهُ وقالَ لَهُ : يامالكُ .. كَيفَ حالُكَ مَعَ الله ؟!

فقالَ لَهُ الإمامُ : غفر لى .. وأَجْزَلَ ثوابى . وأحسن مآبى ..

قَالَ لَهُ صاحبُهُ : بأىِ عملٍ عَمِلْتَهُ يامالك .. وعملُكَ الصالحُ كثير ؟

فقالَ لَهُ مالكٌ : بكلمةٍ واحدة كنت دائماً أرددها ، غفر وأجزل الثواب وأحسن المآب .. كنت إذا رأيتُ جنازةً قُلتُ : « **سُبحانَ الحىِّ الذى لا يموت** » .

● ولن نذهب بعيداً ؛ فالمسيحيون بالفعل يقولون بتجسد أقنوم الابن وصلبه وموته وبعثه وجلوسه بعد قيامته عن يمين الآب ..

فإذا قال أصحاب الثالوث : إننا لا نقول بوجود ثلاثة آلهة ..

وإنما نقول بوجود إلـٰه واحد مركب أو مكون من ثلاثة عناصر أو أقانيم ..

فإننا كما فعلنا مع سابقه ..

سنعرضه فوراً على أشعة العقل الكاشفة ..!!

* أختى الفاضلة سوزان ...

إذا عرضنا هذا القول الأخير على صفحة العقل فإن العقل سيرفضه بل سيلفظه فى بداهة وسرعة .. لأنه لا يمكن للعقل أن يتصور إلـهاً واحداً مكوناً أو مركباً لأى عناصر ثلاثة .. أو أجزاء ثلاثة .. لماذا ؟!

لأن الشيء المركب لا يتكون وجوده .. بداهة .. إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء التى سيتركب منها .

فوجود الأجزاء يسبق تكونها وتركبها . والله تعالى لم يكن مسبوقاً بشيء ..

فهو سبحانه وتعالى الأزلى وحده ...

فكيف يمكن أن يكون مكوناً من أجزاء أو عناصر ؟

إن وحدانية الله .. وحدانية مطلقة .. وحدانية لا تركيب فيها على الإطلاق .. وليست وحدانية .. فى تثليث ..

كذلك .. فإن الشيء المركب يفتقر فى تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه ..

فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية ..

والله تعالى لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى أحد .. فهو الغنى وحده والكل محتاج إليه ..

﴿ قالوا اتخذَ الله ولداً سبحانه هُوَ الغنى ﴾ [يونس : ٦٨]

﴿ هُوَ الغنى ﴾ .

نعم .. هُوَ الغنى ..

﴿ قُلِ الحمدُ لله وَسَلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفَى ءَآللهُ خيْرٌ أمَّا يُشرِكون * أمَّنْ خلَقَ السمواتِ والأرضَ وَأنزَلَ لكُم مِنَ السماءِ ماءً فأنبتنا بِهِ حدائِقَ ذاتَ بهجةٍ ما كانَ لكُمْ أنْ تُنبتُوا شجَرَهَا أإلـٰهٌ مَعَ اللهِ بل هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلون * أمَّنْ جَعَلَ الأرْضَ قراراً وَجعَلَ خِلالَهَا أنهاراً وجعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وجعَلَ بينَ

البحرين حاجزاً أإلٰهٌ مع الله بَلْ أكثرُهم لا يعلمون * أمَّن يُجيب المُضطرَّ إذا دَعَاهُ وَيكْشِفُ السُّوء وَيجعلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرضِ أإلٰهٌ مَعَ الله قليلاً مَا تَذَكَّرُون * أمَّن يَهْدِيكُم فى ظُلُماتِ البَرّ والبحرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِياحَ بُشْراً بينَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ أإلٰهٌ مَعَ الله تعالى الله عَما يُشرِكون * أمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمن يَرزُقُكُم مِنَ السماءِ والأرضِ ، أإلٰهٌ مَعَ الله قُلْ هاتوا بُرْهانَكُمْ إن كُنْتُمْ صادقين ﴾ [النمل : ٥٩ ـ ٦٤] .

فأى برهان أسطع من هذه البراهين ...!!

وأى حجة أبلغ من هذه الحجج ..!!

وإذا لم يخضع العقل لهذا البرهان القرآنى ويذعن لهذه الحجة .. فإنه لا يخضع لبرهان ولا يذعن لحجة أبداً ..

﴿ وَمَن لَمْ يجعل الله له نوراً فَمَا لَهُ مِن نور ﴾ [النور : ٤٠] .

وليس يصح فى الأذهان شىء   إذا احتاج النهار إلى دليل

● كما أنه لابد للشىء المركَّب .. من مُرَكِّبٍ يتولى تركيب أجزاءه وعناصره وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملاً ..

فالأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون علة ..

فمن الذى ركب أجزاء الله ..؟!

إن كان كائن غيره .. فهو الأولى بالعبادة ..

وإن كان الله تعالى كاملاً .. فلماذا يحتاج إلى التركيب والتعدد ؟!!

إن الله سبحانه وتعالى لم يكونه أو يركبه أحد ولا علة له فهو موجود بذاته أولاً . لأن الشىء المركب .. يعتبر محدوداً بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها ..

فهو محدود بحدود الأجزاء التى ركب منها .. وبالتالى فمن الممكن رؤيته وتحديده لأنه يتحيز بمكان وحيز معين ..

والله جل فى علاه غير محدود ولا متناه .. ولا يحده مكان ولا زمان لأنه خالق المكان والزمان .. فهو سبحانه غيرُ مركب بل هو واحد وحدانية مطلقة ..

إن عقيدة الثالوث لا يمكن فهمها ..

وهذا أحدهم يعلن ذلك :

يقول القس توفيق جيد فى كتابه سر الأزل ص١١ :

« إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها فى كفه » ..

ويقول القمص باسيليوس إسحق فى كتابه « الحق » :

« أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله ... » ..

أما الأستاذ يس منصور فإنه بعد شرحه المستفيض لعقيدة الثالوث يقرر فى كتابه « التثليث والتوحيد » :

« إن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة » ..

ثم يأتى الأستاذ عوض سمعان فيقول أيضاً فى صراحة فى كتابه « الله ذاته ونوع وحدانيته » ص ٤ :

« إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك .. » .

ثم يستطرد قائلاً :

« لقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله أو بالحرى عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً لأنهم انحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها .. » .

والأمر يدعو للحيرة ..

ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث المحير فمن ياترى يستطيع فهمه ؟ وما هو موقف البسطاء والعامة إذا ما حاولوا الفهم ؟!!

وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا وأفهامنا فبماذا ياترى يمكننا إدراكها ؟!!

وإذا كنا جميعاً نحن وهم لا ندرك هذا الثالوث فكيف يمكن لأى منا أن يتبعه أو يسير عليه ؟!

وكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغى عقله الذى لا يعيش إلا بهديه ..؟!!

إن من يحاول فهم ذلك إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق .. وفى خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد ..

وهذا هو ما وصل إليه الكثيرون للأسف المرير ..

إن الدعوة إلى إلغاء العقول .. وتقبل النقول دون فكر أو روية إنما تخالف الدين .. بل وتخالف كافة الأديان السماوية التى ما نزلت إلا لذوى العقول .. فالعقل هو المخاطب دائماً برسالات السماء ..

وكل من يطالع تلك الرسالات التى عملت فيها يد التغيير والتحريف الكثير إلا أنه سيجد رغم ذلك الحض على التفكير وإعمال العقل ..

● والقرآن الكريم .. خاتم الرسالات السماوية يخاطب العقل فى كافة آياته .. ويجعل التفكير والتدبير أعلى درجات العبادة .. ويضع العقلاء والعلماء فى أعلى المراتب .. وأقربها إلى الله .. يقول سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يستوى الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩]

ولأولى الألباب .. نزلت الأديان .. وكرم الله بها الإنسان .

أما غير أولى الألباب فهم الأحجار والدواب ..

● يقولُ الحبيبُ المصطفى — ﷺ — فى كلماتٍ جامعة :

« **الدينُ هُوَ العقل .. ولا دينَ لمن لا عقلَ له** »(١) .

والآن لا يسعنا سوى أن نسوق هذه الآيات البينات لكيلا ننسى أو نضل :

﴿ قُل إنما أعظُكم بواحِدةٍ أن تقوموا لله مثنى وفُرادى ثُمّ تتفكروا ... ﴾
[سبأ : ٤٦]

---

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن النجار بنحوه كما فى كنز العمال [٧٠٣٣] .

﴿ وإذا قيلَ لَهُمُ اتبعوا ما أنزَلَ الله قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما ألفينَا عليه آباءنا أَوَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠]

﴿ فَبَشِرْ عِبَاد . الذينَ يستمعون القَوْلَ فيتَّبِعُونَ أَحْسَنَه أولئِكَ الذينَ هَدَاهُمُ الله وأولَئِكَ هُمْ أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] .

لماذا أسلم هؤلاء ؟!

[١] المسيو اتين دينيه
يصبح (ناصر الدين) ..!

[٢] انطونيوس مقار
(قسيس من أرخبيل الملايو بأندونيسيا)

[٣] كيف اهتديت الى الاسلام ؟
(قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة)

[٤]
لماذا أسلم المستشار القانوني اسكاروس ؟!
(كل الدلائل تؤكد أن الإسلام دين الله الحق)

[١] المسيو إتين دينيه
يصبح (ناصر الدين) ..!

المسيو إتين دينيه فرنسى الأصل ، له شهرته الوسيعة فى عالم الرسم والتصوير ، ولوحاته الفنية الثمينة تزدان بها جدران المعارض الفنية فى فرنسا واستراليا .

هذا الرسام العالمى أعلن إسلامه فى عام ١٩٢٧ م . بالجامع الجديد بمدينة الجزائر ، فى احتفال كبير ترأسه مفتى الجزائر آنذاك .

وهنا السؤال : لماذا ترك هذا الفنان العالمى دينه « المسيحية » الذى ورثه عن آبائه . ودخل فى دين الله الإسلام ؟

إنه رجل ذائع الصيت فى سائر الآفاق الأوربية والعالمية ، وله منزلته الأدبية الكبيرة ونال حظاً من التقدير الاجتماعى قد لا يصل إليه أنداده ورفقاؤه ؛ حتى دوّن معجم (لاروس) الكبير أعمال المسيودينيه ، كما جاءت سيرته وترجمته فى معلمة (هاشيت للفنون الجميلة) .

إذاً لم يكن إسلامه رغبة فى الشهرة أو نَيْل مكانة أدبية طالما بحث عنها ..!!

قد يكون المال هو الحافز له على ترك المسيحية ؟!!

هذه فكرة غير منطقية لسببين :

أولاها : أنه معروف بالثراء ، ومكاسبه من مهنته غزيرة .

والثانى : أن الجزائر آنذاك بلد محتل فقير كادح ، يعانى أهله تدبير معايشهم اليومية بَلْهَ توفير الثراء لإغراء رجل بالإسلام ، والإسلام يقول بأن من آمن لنفسه ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ..

إذاً فما الحافز على إسلامه ؟

كان دينيه فناناً يفكر فى مصيره الأخروى .. وكان يحاول كذلك أن يبلغ الذروة فى هذا المصير .

لقد تغلب بفنه على القلق الذى يساوره فيما يتعلق بمجده الدنيوى ، وأحسّ من هذه الجهة ببعض الطمأنينة ..

ولكن ما العلاج لطبيعته الدينية القلقة ؟

وتوّاً فكر مسيو اتين دينيه فى المسيحية ذلك الدين الذى يعتنقه بالوراثة عن أبويه وعن مجتمعة ، كما فكّر فى البابا ، ذلك البشر الذى وصف نفسه بالعصمة ، وتأمل فى عقائد الكنيسة : الصلب والفداء ، التثليث ، الغفران ..إلخ .

وجد أن الشروح الدينية المسيحية تقول :

إن المسيح ابن الله ، وقد صلب ليطهر بنى البشر من اللعنة التى حلّت بهم بسبب خطيئة آدم .

وفكر : إنه صلب ليفتدى البشر ، ثم هو ابن الله ؟

فهو الله ، وهو بشر ..!!

وأحَسّ برأسه تدور وبصره يزيغ .. فلا شىء فى هذا الخلط مقنع للعقل أو مطَمْئن للروح ..

فراح يعيد قراءة الأناجيل من جديد محاولاً جهده العثور على ما يشبع نهمته للحق ؛ ولكنه رأى فيها ما صدم أعصابه وعقله وروحه ، مما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل .. »

● فمن أقوال المسيح التى فيها حطّ واحتقار لأمه العذراء ، ما صدر عنه فى عرس « قانا » :

(وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك . ودعا أيضاً يسوع تلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ؟ قال يسوع مالى ومالك ياامرأة ..)

(يوحنا ــ الإصحاح ١٢)

أما الإسلام فقد رفع الوالدين إلى منزلة لا تدانيها منزلة .. وأوصى بالأم وصايا غالية ، وجعل الجنة تحت قدميها ، ونهى عن كلمة (أفٍ) أمام الوالدين ،

فما البال بما هو أكبر منها ..

قال ــ جل شأنه ــ : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ [النساء : ٣٦]

وقال ــ سبحانه وتعالى ــ: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ [الإسراء : ٢٣]

وقال ــ تعالى فى علاه ــ : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ [الأنعام : ١٥١]

وقد مدح الله ــ عزّ وجل ــ أنبياءه ببرهم بوالديهم ؛ فقال جلّ شأنه فى يحيى ــ عليه السلام ــ: ﴿ وبَرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ﴾ [مريم : ١٤] وقال فى شأن نبيه عيسى ابن مريم ــ عليهما السلام ــ : ﴿ وبرّاً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً ﴾ [مريم : ٣٢] .. وعن يوسف ــ عليه السلام ــ قال : ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، وعن إسماعيل ــ عليه السلام ــ: ﴿ يٰأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ [الصافات : ١٠٢] ..

بل إن القرآن الكريم أوجب بِرّ الوالدين ولو كانا مشركين . قال ــ جل شأنه ــ : ﴿ وإنْ جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ﴾ [لقمان : ١٥]

ورسول الله محمد ــ ﷺ ــ يجعل بِرّ الوالدين عِدْلَ الجهاد فى سبيل الله تعالى ؛ فها هو رجل يأتيه قائلاً : يارسول الله : « إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه ؟ فقال ــ ﷺ ــ: هل بقى من والديك أحد ؟ . قال : أمى . قال : قابل الله فى برّها ؛ فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد »[1] [رواه أبو يعلى والطبرانى بإسناد جيد) .

وعن طلحة السلمى ــ رضى الله عنه ــ قال : أتيت النبى ــ ﷺ ــ

---

(١) انظر : مجمع الزوائد للهيثمى [١٣٨/٨] .

فقلت : يارسول الله إنّى أريد الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « **أمك حية ؟** قلت : نعم . قال : **الزم رجلها فثمَّ الجنة** »[1] [رواه الطبراني] .

● ومما لفت انتباه المسيو « إتين دينيه » قول للمسيح يحمل فى طياته اللعنة على شجرة تين لم تحمل ثمرها ، لأنه لم يكن موسم تين ؛ فقد جاء فى الإنجيل :

(.. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئاً ، فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً ، لأنه لم يكن وقت التين فتعجب يسوع لها . وقال : لا يأكل أحد منك ثمراً إلى الأبد ، وكان تلاميذه يسمعون) ..

(مرقص ـــ الإصحاح ١١)

ـــ و لم يجد المسيو « إتين دينيه » مَنْ يقدم له إجابات مقنعة عن سرّ دعائه على هذه الشجرة بالجدوبة أبداً ، برغم أنه إلٰه أو ابن إلٰه ، وبرغم أنه لم يكن موسم التين ، فطبيعى ألا تثمر الشجرة ؟!.. ثم أليس وهو ابن الإلٰه متجسداً لديه قدرة على إنبات التين ولو فى غير موسمه ؟! وعديد من التساؤلات لا تجد الجواب أساساً بَلْه الجواب المقنع ..

● وتتالت أسئلته التى لا تجد أجوبة ، على سلوكيات أو أقوال تصدر عن ابن الإلٰه ، الذى هو إلٰه فى نفس الوقت ، ومما لفت انتباهه :

قول يسوع

« وإذا امرأة كنعانية خارجة من التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمنى ياسيد يابن داود ، ابنتى مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلّا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة » . (إنجيل متى ـــ الإصحاح ١٥)

ومن أقواله التى توجب كراهية الأقرباء :

« إن كان أحد يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته ، وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون تلميذاً » ..

(إنجيل لوقا ـــ الإصحاح ١٤)

---

(١) انظر : مجمع الزوائد للهيثمى [١٣٨/٨] .

ومن أقواله التى فيها اعتراف بالجهل بالغيب :

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن ، إلا الآب » .

(انجيل مرقص ــ الإصحاح ١٣)

ومن أقواله الدالة على التفريق والبغض :

« جئت لألقى ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت ولى صبغة أصطبغها ، كيف أنحصر حتى تكمل ، أتظنون أنى جئت لأعطى سلاماً على الأرض . كلا أقول لكم ، بل انقساماً لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد مقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة : ينقسم الأب على الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم » .

(انجيل لوقا ــ الإصحاح ١٢)

ومن أقواله التى تعبر عن اليأس بالموت من عذاب الجسم ، وهو مصلوب :

« صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلى إيلى لم شبقتنى ؟! أى إلـٰهى إلـٰهي لماذا تركتنى »

(انجيل متى ــ الإصحاح ٢٨)

ثم يعلق مسيو « دينيه » على هذه النصوص بقوله :

(أ) والواقع أنه فى حالة يأسه الأخير لم يتوجه إلى (أبيه) ، وإنما إلى إلـٰهه وربه كى لا يتركه ، على أن هذه الجملة بذاتها ــ وهى من الجمل النادرة التى ترجمت بنصها الذى نطق به يسوع ذاته ــ لا تبيح بأى حال اقتراف الغلطات المتكررة الموجودة فى ترجمة الأناجيل اليونانية .

(ب) أما ونحن نعظم المسيح ونحترمه ونرفعه مكاناً علياً فلا نسمح لأنفسنا بالاعتقاد بصحة هذه الأقوال وأمثالها وهى لا تصح نسبتها إلى أحد الأنبياء فما بالك بنسبتها إلى (رب) ؟!.. فقد وضعوا بين أيدينا أكبر حجة على أن عيسى ليس ابناً لله وأنه نفسه لم يدع هذه الدعوى .

● وبناء على هذا يقرر المسيو « إتين دينيه » ــ وبعد دراسة مستفيضة ــ

الحقيقتين التاليتين :

☐ « أما إن الله سبحانه وتعالى قد (أوحى) الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه ، فالذى لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه قد أبيد . ولهذا جعلوا مكانه توليفات أربع مشكوكاً في صحتها وفي نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهى لغة سامية ؟ . لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود » . ا . هـ .

☐ « ثم الأناجيل .. ألم يدخل عليها التنقيح والتهذيب في كثير من المواضع التى لم تعرف بعد ؟ ولِمَ أغفل رجال الأناجيل ثلاثين عاماً من حياة المسيح دون أن يذكروا لنا عنه فيها شيئاً إلا ما اختص بالسنين الثلاثة الأخيرة ...؟

وأمر آخر فات رجال الأناجيل ؛ ذلك ؛ أنه مع عظيم خطر هذه الثلمة في سنى حياة المسيح ؛ فإن الأناجيل لم ينلها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء ؛ لأن واضعيها وهم قليلو الخبرة بعلم النفس لم يدركوا أن ما يصح ذكره على لسان نبى لا يصح أن يقال على لسان ابن الله وإلا كان الأمر غريباً شاذاً نابياً ، على أن هذا هو ما قد حصل ، فقد جاءت أناجيلهم كلمات كثيرة على لسان المسيح يعجب المرأ لصدورها ممن كان في منزلته ... » ا . هـ .

☐ وانتقل المسيو « إتين دينيه » إلى الجزائر العربية المسلمة ، والتقى هناك بالشيخ (سلمان إبراهيم) ، الذى ساعده في تعلم العربية وقراءة القرآن ، حتى أعلن إسلامه لله ، وتسمى باسم (ناصر الدين) ، وألّف عدة كتب عن العرب والإسلام .

ويعلق الدكتور رءوف شلبى على إسلام هذا الرجل قائلاً :

« رحم الله (ناصر الدين دينيه) ، وبعثه مع الصديقين والشهداء والصالحين » .

وبذلك تظهر حقيقة الخط الفاصل بين :

ثورة حناهس على أسرار الكنيسة ...

ثم ثورة لوثر على صكوك الغفران ..

دون أن يستطيع (أحدهما) الخروج من دائرة كفره إلى دائرة الإيمان الطليق .

فقد ارتبك حنا هس في تجهيز جيوشه لتثبيت آرائه ضد الكنيسة .

وارتبك لوثر فى نزعته العرقية ضد البابوية فلم يفك عنقه من ربقة المسيحية البولسية .

وارتبك شارل جنيبير الفرنسى فى ربقة الحياة العلمانية فلم يعلن خروجه عن المسيحية التي أظهر فسادها بتحليله التاريخي لمصادرها وشروحها ورجالها .

أما الفنان العالمى الذى وسع فنه متاحف العالم فقد أرضى مشاعره الدينية ـــ مع أنه ليس فيلسوفاً مثل لوثر ، ولا مدعياً الإصلاح مثل حناهس ، ولا متخصصاً فى تاريخ مقارنة الأديان مثل شارل جنيبير ـــ ولكنه الشعور الصادق والوجدان المتدين النقى ساقه إلى فيض النور ، وحقيقة التوحيد ، فدخل (دينيهٌ فى دين الله : الإسلام الحنيف) .

[٢] أنطونيوس مقار
(قسيس من أرخبيل الملايو بأندونيسيا)

فى كتاب عنوانه (لماذا أسلمت ؟!) ، للأخ المسلم (أنطونيوس مقار) ، نشر المجلس الأعلى الإسلامى للدعوة الإسلامية فى سومطرة الشمالية بأندونيسيا ، ترجم بعضه وقد وعد بترجمته كله الدكتور رءوف شلبى ، تأتى قصة من قصص الإسلام الصادق القائم على الدراسة والوعى ..

ويقدم جزءاً منها فى خطوط عريضة شاملة الدكتور (رءوف شلبى) فى كتابه (يٰأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ، نسوقه كما أورده لمنفعته وعبرته ..

« انطونيوس مقار : راهب من رهبان جزر الأرخبيل بأندونيسيا ، تخرج من كلية اللاهوت وعمل قسيساً وبنى كنائس وأُدخل فى المسيحية فى عام واحد ألفى رجل وامرأة فى أندونيسيا .

هذا القسيس الناجح يخرج من عقائد المسيحية ، ويدخل فى الإسلام لماذا ؟

لو كان فاشلاً : لكانت العلة فى خروجه من المسيحية أنه فاشل . ولو كانت الشهرة : فقد بلغت شهرته أن اختير بعد تخرجه ونجاحه فى نشر المسيحية مبشراً ليواجه الثورة الإسلامية فى مدينة (جوْجا كارتا) العاصمة القديمة لأندونيسيا .

إذن لماذا دخل القسيس الأندونيسى انطونيوس دين الإسلام ؟!!

يحكى هو بنفسه قصة إسلامه فى كتابه الذى صدر باللغة الأندونيسية ، باسم : (لماذا أسلمت ؟) ..

Apa Sebabsaya Ber Agama Islam.

يقول :

« فى يناير سنة ١٩٢٤ م سافرت حملة بحرية هولندية من ميناء (بيتوج

ميناهسن) . وكان فى هذه الحملة العسكرية الهولندية ضابط برتبة (مايور) يسمى (جوهن فريدريك) . ولم تلبث الحملة طويلاً بعد وصولها إلى جزيرة سافاروا بمنطقة جزر مالكو الوسطى ، حتى مرض الضابط مرضاً خطيراً احتاج إلى طبيب متخصص فى علاج هذا النوع من المرض ، واحتاج كذلك إلى ممرضة متخصصة فى تمريض صاحب هذا النوع من ذلك المرض الخطير .. وكانت هناك ممرضة راهبة مشهورة جداً فى التمريض لهذا النوع الخاص أكسبتها حياة الرهبنة حبّاً وتفانياً وشجاعة فى ممارسة التمريض مع أصحاب هذا المرض الخبيث .

وكانت (جوهنا لاتوبريا) ، هي الراهبة الكاثوليكية النابغة التى أشرفت على تمريض الضابض مايور جوهن ، وشفى الضابط وخرج من سرير المرض إلى بوارج الحملة العسكرية بعد أن ترك حبلاً من الودّ الخفى يربطه بالممرضة الشجاعة (جوهنا) . ولم تقو (جوهنا) على جاذبية الحب الذى تكنه للضابط (جوهن) ، فاندفعت فى ثورة عشق عارمة تخلع ثيابها البيضاء الديرية لتلبس ثوب الزفاف الأبيض كزوجة للماجور (جوهن) .. وكانت أسرة كاثوليكية سعيدة أنجبت سبعة أولاد ذكوراً كنت أنا رابعهم فى عام (١٩٣٣ م) ، وفىّ أنا وحدى وضعت أمى آمالها لأكون راهباً ، مجدداً فيها أملها الذى ضاع من قبل .

وعندما كنت طفلاً بدءوا يلقوننى تعليمات روحية ، ويعلموننى أن هذه التعاليم لا يجوز مناقشتها .. وقد غرسوا فى نفسى عقيدة التثليث الكاثوليكية .. وكان صوتاً خفياً يرفضها (بنفسى) .. ثم ألحقت بمدرسة سافريوس فى قرية (توندانو) ، وتدرجت فى مدارس التعليم حتى التحقت بمدرسة الرهبان فى الفترة ما بين ١٩٥٣ ـــ ١٩٥٨ م . وتخرجت ، وأُلحقت بوظيفة فى الكنيسة بمدينة (سورابايا) ، بجاوا الشرقية لمدة عامين ، ثم حُوّلت إلى مدينة (سمارج) بجاوا الوسطى ، حيث أدخلت فى المسيحية ألفين ، وبنيت كنيسة ، وكانت مهمة التبشير هى : إدخال المسلمين فى المسيحية الكاثوليكية ، وكانت وسائلنا المادية لهذا التبشير كثيرة وضخمة .

ولما وقعت أحداث جوّجا كارتا عام ١٩٦٠ م ، انتدبت للعمل فيها لمواجهة

الثورة الإسلامية ، وانحصرت مهمتى فى نقطتين :

الأولى : تنظيم الكنيسة لمواجهة خطر المسلمين .

الثانية : العمل على تنشيط التبشير الكاثوليكى .

وكنت كالنحلة أطوف القرى والغابات تطوافاً صباح مساء ، وقُدّر لى فى يوم أن ألتقى بأحد علماء المسلمين ، الذين كان يجب علىّ أن أضع لهم خطة تربكهم وتحيل نشاطهم إلى داخل أنفسهم ـــ وكان ذلك الحاج هو العالم منور خليل ـ رحمه الله ـ وتبادلنا الأفكار ، وعرضت عليه العقيدة الكاثوليكية بكل أسرارها .. ولكن الشيخ كان ممتلئاً باليقين والثقة والعلم ففاجأنى بما لا دراية لى به ؛ إذ أننى أحفظ كالببغاء هرطقات حفظتها دون أن أستعمل فكرى . وإذا بالرجل يعرض علىَّ عدة أناجيل بعضها باللغة الإنجليزية ، واللغة الهولندية ، واللغة الأندونيسية ، والأخرى باللغة العربية ـــ وجعل الرجل يقرأ منها جميعاً ويترجم ويفسّر ويوضح مع اتساع الأفق وإدراك للخفايا ، وكان يستعين فى أدلته ضدى بل ضد ما أدعوه إليه بمعلومات مدونة فى دائرة المعارف البريطانية ، وكتب التاريخ المدونة باللغة الإنجليزية .

وظل الرجل هكذا يتنقل فى شروحه ومناقشاته كأنما يقطف أوراق الورود فى صبح ندى ، وأنا أشعر كأنما كل أمراض الرأس قد حلّت فى رأسى .. وكنت أشعر أن إيمانى يتهافت كما تتهافت أشعة الشمس عند الغروب فى يوم كثيف السحاب .

وفى اللقاء الثانى بعد أسبوع تقريباً ، عدت إلى الشيخ أسأله أن يوضح لى ما قالته دائرة المعارف فى جرأة من أن التثليث إنما هو (صنعة بولس) ، ثم طلبت منه استعارة الجزء الذى يعالج قضية التثليث للاطلاع عليه .

ولقد أدهشنى كثيراً ما قرأته عن الدكتور (دافيد ستراوس) ؛ ذلك العالم المسيحى (١٨٤٤ م) ، فى كتابه : (اضطراب حياة عيسى) ، حيث قال :

« إن اليهود والمسيحيين يشعرون أنه ليس هناك دين قادر على إقامة الأدلة على الألوهية مثل الديانة المسيحية واليهودية .. وإذا كان هذا هو رأى اليهود والمسيحية فنحن نريد أن نفحص هذه الدعوى . فقد تكون هذه المشاهدات

المذكورة قد رأتها عين مغشوشة الرؤية إذ لم يستطع تاريخ الأناجيل إثباتها يقيناً ، ولو أنه من المفروض أن كاتبي الأناجيل لا يتورعون عن إدخال بعض الأخبار المزورة فيما يكتبون ، عن طريق الدهاء والمكر فيما يصورونه لأنفسهم كأنهم شاهدوه عياناً .. غير أن تاريخ الأناجيل عاجز عن إعطاء هذا الدليل ... إلخ » .

وفى اللقاء الثالث مع الشيخ منور خليل ــ يرحمه الله ــ كنت أحمل فى صدرى ثورة عارمة على التبعية العمياء (الدوجماتزم) ، وعدم المناقشة حسب الشعار الموروث : (أنا أؤمن بذلك لأن ذلك غير معقول)

وكانت مهمتى هذه المرة مع الشيخ أن يقدم لى الرشد والنصيحة للخروج من أزمتى النفسية التى أعانيها .. وبعد انتهاء اللقاء عدت إلى منزلى وأنا أغلى كالمرجل فوق النار ، وقررت أن أطلب إجاز وأسافر لأبحث عن مصدرية عقيدة التثليث وأصل العقائد الكاثوليكية .

وسافرت إلى جزيرة بالى ، وإلى معبد الهندوكية قصدتُ توّ نزولى ، وطلبت الالتحاق بهذه الديانة ، فقال لى الكاهن : لابد من امتثال عدة أوامر هى :

١ ــ حلق الرأس بالموسى .

٢ ــ ارتداء الثياب البيضاء لمدة لا تقل عن ثلاثة شهور .

٣ ــ تقبل تعاليم الديانة دون مناقشة .

فأدركت أن هناك مساواة بين التعاليم فى الديانتين : الهندوكية والكاثوليكية .

وواصلت الدراسة لمدة ثلاثة شهور ، فحصل لدى مقارنة تامة بين التثليث الكاثوليكى ، والتثليث الهندوكى ، بيانها كالتالى :

الديانة الكاثوليكية المسيحية	الديانة الهندوكية
الآب	براهما
الابن	فيشنو
روح القدس	سيفا

ووصلت كذلك إلى أن كل ما قيل : من العشاء الربانى والغذاء .. إلخ ، ليس من تعاليم المسيحية ، ولكنه ينبع من ثقافة دينية هندوكية .

كما وصلت إلى أن كريستوس (المسيح) ، محرفة عن كريستانا الله الابن فى الثالوث الوثنى :

الديانة الكاثوليكية المسيحية	الديانة الهندوكية
الله الآب	وشنو
الله الابن	كاريستانا
الأم	ديفا ناكى

وإذن ففكرة يسوع ابن الله متساوية مع فكرة كاريستانا ابن وشنو . فأدركت تماماً أن التعاليم الهندوكية هى مصدر تعاليم الكنيسة الكاثوليكية . وسألت نفسى : هل أتبع المصدر « الهندوكية » ؟!

وَرَدَّ على سؤال عميق فى أعماق نفسى : إنها ديانة لا تعرف لها واضعاً أكثر من أنها تعترف بقائد أو مرشد ؛ فلم أفضّل الهندوكية على الكاثوليكية ؟

ونظرت فى البروتستانتية فوجدتها كذلك تتفق مع كلتا الديانتين فى منطق التثليث والتبعية العمياء ، ووجدت كذلك أن (لوثر) ، و (توماس مور) لم يكن كل منهما مخلصاً فى ثورته من أجل الحق والدين الصحيح ، ولهذا لم يوفقا للحصول على العقيدة السليمة .

وفى خضم هذه التيارات التى أعيشها دعانى شباب الكنيسة الكاثوليكية لتبادل وجهة النظر فيما يتعلق بالتثليث .. وكانت ندوة ممتعة ملخصها :

١ ــ أن الواحد إذا تكرر ثلاث مرات أصبح ثلاثة بلغة الحساب ، وهى أدق اللغات معايير .. ولكن فى بعض الأحايين تكون الثلاثة واحداً ، فكيف يحدث ذلك ؟!

آه .. سوف يقال : هذا سر من أسرار الكنيسة لا يجوز مناقشتها .

والسؤال الآن : لماذا لا يجوز مناقشتها ؟ ومَنْ قال هذا ؟ وما دليله ؟

ويمكن أن يكون الجوب : السبب هو هذا فقط منذ الأبد حتى الآن ..!

فليس هناك مَنْ يجرؤ على حلّ هذه الرموز ، وتفسير تلك الطلاسم .

ويمكن الرد بأنه لا يجرؤ لعدة أسباب منها :

أنه جاهل لا يعرف ..

أو أنه غير شجاع إن كان يعرف ..

أو أنه .. أو أنه ... إلخ .

٢ ــ أن الثلاثة إذا اجتمعوا فى شيء واحد يحتويها جميعاً صار لها اسم واحد .. فالدخان الأندونيسى الذى نشربه الآن فى هذه الندوة مكوّن من ثلاثة أقانيم وهى : أقنوم الورق ــ أقنوم القرنفل ــ أقنوم التمباك .

ولكنها كلها يقال لها : « سيجارة » ، وإذا فرقنا أجزاء هذه السيجارة إلى ورقة ، ودخان ، وقرنفل .. ما جاز لنا أن نطلق اسم السيجارة على أى أقنوم منها ولا جاز لنا أن نقول عن القرنفل : إن له خصائص الدخان ، ولا عن الورق : إن له خصائص القرنفل ، فلكل أقنوم خاصيته التى يتميز بها عما سواه .

ثم قلت للشباب : هل تعارضون فى هذا ؟

فأجابوا : لا ...

فقلت : وكذلك نحن نفرق بين الخبز وصانعه ، فهل يمكن أن يطلق على الخبز أنه صانع وعلى الصانع أنه خبز ؟

فقالوا : لا .. طبعاً لا يمكن .

فقلت : فلم نقول بالتثليث : الآب والابن والروح القدس ؟! فإن خالق البشر لابد أن يسمو بصفاته وأفعاله وذاته عن كلّ ما يشبه البشر .

وانتهت هذه الندوة وقد تركت الشباب عن نحو من حالى .. وومض لى عند العودة إلى البيت أن أعتنق مذهب (الأدفنت) Advent ؛ فهو يقول بالإلـه الواحد الذى لا شريك له ، وأن عيسى رسول الله ، وأن الأحكام الشرعية مصدرها التوراة والإنجيل فحسب ..

ثم بان لى أن هذا المذهب لا يمكن قبوله لأنه مجهول الواضع .. وبين العهد القديم والعهد الجديد تناقض بيّن .. فالعهد القديم يحرّم عبادة شيء سوى الله .. والعهد الجديد يجعل كل الصلاة ليسوع وروح القدس والتماثيل .. العهد القديم يوجب الختان ، والعهد الجديد يحرم الختان ..!!.. ولهذا فإننى رفضت مذهب الأدفنت لأنه مشترك مع هذه المصادر فى اضطراب الشرائع والعقيدة .

ظلت هذه المعارك النفسية تصارعنى حتى عام ١٩٦٢ م ؛ حتى خرجت منها بقلب فارغ ، فوطنت نفسى على أن أعتنق موقف العناد والمنتقد لكل هذه العقائد الأربعة : « الكاثوليكية ، البروتستانتية ، الهندوكية ، الأدفنت » .

ولاح لى طيف خيال : أن أضع أنا ديناً جديداً خليطاً من هذه التجارب .. ولكن الصوت الخفى الذى كان ينادينى من أعماق نفسى : إننى أطلب ديناً يرضى الله عنه .

وعند الشعور بلحظة الضياع رجعت إلى القرآن الكريم ـــ باللغة الإنجليزية ـــ ذلك الكتاب الذى أهدانيه الشيخ منور خليل ، وقرأت سورة البقرة .. ﴿ **يـٰأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة : ٢١]

﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

فأحسست بأن هذا النداء كأنه يطلبنى من زمن بعيد ويدعونى لأعرف ربى بإرادتى وعقلى دون إكراه أو ضغوط .. أو تعصب .. ولهذا أسلمت وجهى لله ربِّ العالمين » .

[٣] كيف اهتديت إلى الاسلام ؟
(قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة)

نشرت مجلة المسلم (The Muslim) ، التى يصدرها اتحاد الطلبة المسلمين فى لندن مقالاً للكاتبة الأمريكية المسلمة (مريم جميلة) تحت عنوان : (كيف توصلت إلى القرآن الكريم) ، استعرضت فيه المراحل التى مرت بها فى الوصول إلى القرآن الكريم وما تحملته من بعض المشاق فى سبيل تشرفها بالإسلام .

قالت الكاتبة المسلمة الأمريكية (مريم جميلة) من ضمن ما قالت :

« لقد توصلت إلى القرآن الكريم بطريقة غريبة وملتوية بعض الالتواء ، إلا أن نهايتها بالنسبة إلى كانت حميدة جداً و لم أتأسف قط على ما تحملته وتعرضت له فى هذه الطريقة من مشاكل وتجارب قاسية ..

كنت فى صغرى كأية طفلة لعوب مولعة بالاستماع إلى الموسيقى ولاسيما موسيقى التمثيليات الكلاسيكية التى كانت فى تلك الأيام تُعَدّ رمزاً للثقافة العالية لدى الغربيين ..

وفى المدرسة كذلك كانت مادة الموسيقى أحب المواد الدراسية إلى نفسى ، وعندما بلغت الحادية عشرة من عمرى طرقت أذنى لأول مرة أنغام الموسيقى العربية بواسطة الراديو فتأثرت بها تأثراً عميقاً وتعلقت بها تعلقاً غريباً ، وكلما زاد شغفى لاستماع الموسيقى العربية نقص مقابله حرصى للموسيقى الأوربية .

وعندما رأى والدى تعلقى بالموسيقى العربية أخذنى إلى بعض متاجر السوريين فى نيويورك ، حيث اشترى لى مجموعة من التسجيلات (الاسطوانات) العربية كان من بينها اسطوانة للسيدة أم كلثوم ، تتلو فيها سورة مريم ، وقد أسرنى صوتها فى تلاوة هذه السورة دون أن أفهم منها شيئاً ــ أى من التلاوة . وعلى الرغم من عدم فهمى للتلاوة فقد كان لصوتها تأثير

غريب فى نفسى ، وصارت هذه (الاسطوانة) وغيرها من التسجيلات العربية شغلى الشاغل دون أن أفهم منها كلمةواحدة، وعلى الرغم من أن الأنغام العربية بالنسبة إلى الغربيين تعتبر أصواتاً مزعجة ، مع ذلك كان حبى لها بصورة عامة ، وبتلاوة سورة مريم بصفة خاصة يزداد كل يوم .

وتضايق الوالدان والأقارب والجيران وانزعجوا من هذه الأنغام العربية وطلب الجميع منى أن أحكم إغلاق نوافذ غرفتى وبابها عندما أجلس لاستماع هذه الاسطوانات .. وبعد أن أعلنت إسلامى سنة ١٩٦١ م ؛ لازمت الجلوس فى مسجد بنيويورك لاستماع تلاوة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، المسجلة على الأشرطة .

وفى إحدى الجمع لم يسمعنا الإمام قراءة الشيخ عبد الباسط المسجلة ؛ وذلك لوجود ضيف مقرىء فى المسجد وهو شاب أسود اللون قصير القامة نحيف الجسم فى ثياب رثة وعرفنا بنفسه أنه طالب من زنجبار بأفريقيا .. وقرأ على الجميع سورة الرحمن بوصت رخيم لم أسمع قط مثله ، وقد فاق فى صوته الشيخ عبد الباسط ، وبقيت مأخوذة بصوته الجميل ، ومستغربة جداً لهذا الشاب الأفريقى الذى يملك هذا الصوت الذهبى الجميل ، لا شك أن بلالاً — رضى الله عنه — كان يملك صوتاً كهذا .

وتستطرد الكاتبة الأمريكية المسلمة :

ومنذ السنة العاشرة شغلت بقراءة كل ما أجده عن العرب فى مكتبة المدرسة والمكتبات العامة فى المدينة زمناً طويلاً ، ثم تولدت فى نفسى رغبة ملحة للوصول إلى القرآن الكريم ، وقد تأكد لدىّ بأن العرب ليسوا هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً ، بل الإسلام هو الذى نهض بالعرب وأخرجهم من حياة القبيلة الصحراوية إلى أن أصبحوا سادة العالم ..

وللتأكد من هذا الأمر ، وكيف تم ذلك ؟ ولماذا كان ذلك ؟؛ أجمعت أمرى وأقبلت على دراسة القرآن الكريم ..

« وفى صيف عام ١٩٥٣ م أرهقت نفسى فى دراسات خاصة بالكلية التى كنت فيها رغبة منى فى إنجازها بسرعة فما شعرت إلا بالضعف والمرض قد

هجما عليَّ وجعلانى طريحة الفراش طول أيام الصيف ، وانقطعت عن الدراسة الخاصة والعامة .. وذات مساء كانت والدتى تريد الذهاب إلى إحدى المكتبات فجاءتنى وسألتنى هل أريد كتاباً ؟، فقلت لها : نعم أريد نسخة من القرآن الكريم ..

وعند عودتها بعد ساعة جاءتنى بنسخة من ترجمة معانى القرآن ، لأحد المبشرين المسيحيين فى القرن الثامن عشر الميلادى وهو (جورج سال) ، ولغة الترجمة قديمة وتعليقاته على بعض الآيات مأخوذة من تفسير البيضاوى والزمخشرى ولم تكن بعض عباراته تخلو من لهجة انتقادية إزاء الإسلام .. ولهذا لم أستفد كثيراً من هذه الترجمة بل جعلتنى أتصور القرآن كأنه مجموعة من القصص على طريقة الإنجيل وكاد تصورى عن القرآن يضعف .. ولكننى مع ذلك لم أهمله بل بقيت أقرأ تلك الترجمة وأكملتها فى ثلاثة أيام بلياليهن وخرجت منها مكدودة الذهن متعبة الجسم كأننى امرأة فى الثمانين من عمرها ..

وظل تفكيرى منصرفاً إلى القرآن ، وأخيراً عثرت فى مكتبة تجارية على نسخة من ترجمة معانى القرآن للمسلم الإنجليزى (محمد مارما ديوك بكتال) ، وبمجرد ما قرأت هذه الترجمة شعرت بروح غريبة تسرى فى جسمى على إثر تأثرى بكلمات المؤلف البليغة وسلاسة بيانه ، وقال بكتال مؤلف هذه الترجمة فى المقدمة : « إن هدف تأليفى هذا هو أن أقدم لقراء اللغة الإنجليزية معانى القرآن الكريم الذى يتمسك به مسلمو العالم ، ولغة القرآن ليست لغة عادية وسهلة بالنسبة إلى المسلمين الذين يتفاهمون باللغة الإنجليزية ، وليس من المعقول أن يقوم رجل غير مؤمن بالله بترجمة معانيه ؛ وبناء عليه فترجمتى لمعانى القرآن الكريم هى أول ترجمة يقدمها رجل انجليزى مسلم يؤمن بالقرآن ، وثمة عدة ترجمات لمعانى القرآن مع تعليقات عليها وكلها لا تخلو من تهجمات على المسلمين وعبارات لا يقبلها المسلمون لكونها لا تليق بالقرآن .. ولذلك لم يكن المشايخ القدماء من المسلمين يسمحون بترجمة القرآن وكذلك بعض المعاصرين .. ومهما يبالغ الكاتب أو المترجم فى تحسين لغته فى الترجمة فلن يصل إلى عظمة القرآن وإعجازه ، الذى يجعل المسلمين عندما يصغون إليه تفيض أعينهم بالدموع .. وعملى هذا ما هو إلا محاولة منى لتقديم ترجمة لمعانى

القرآن الكريم باللغة الإنجليزية لبيان بعض نواحي عظمته ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يطلق على اسم هذه الترجمة : القرآن .. » ..ا . هـ.

وتستطرد الكاتبة المسلمة قائلة :

« وعندما قرأت ترجمته أدركت سبب نفوري من ترجمة جورج سال ، التي وقعت في يدي لأول مرة وغيره من المترجمين الذين قاموا بهذه المهمة وهم من غير المسلمين ..

وبعد اطلاعي على ترجمة بكتال اكتشفت أن تعليقات يوسف على ومحمد على اللاهوري ـ اللذين قاما بترجمة معاني القرآن أيضاً ـ تعليقاتهما على بعض الإيات لا تخلو من التكلف لأنهما نظرا إليها كأنها تتعارض مع الفلسفة المعاصرة ، كما أن ترجمة المعانى نفسها فيها بعض الضعف ..

« وهناك مترجم ثالث وهو الشيخ دريا أبادى الهندى ، وقد حاول هذا الشيخ أن يجعل الترجمة مطابقة للمعانى ولكن بأسلوب لغوى قديم كأسلوب الملك جيمس فى ترجمة الإنجيل ، وهذا الأسلوب فى اللغة يعتبر كذلك غير مرغوب .. أما تعليقات الشيخ دريا أبادى فمعقولة وممتازة جداً وخاصة ما يتعلق بالآيات التى جاءت للمقارنة بين الأديان .. وعلى العموم فترجمة بكتال اعتبرها أحسن ترجمة لمعانى القرآن ظهرت إلى يومنا هذا ، وحتى الآن لم أجد ترجمة أحسن منها أو تكون فى مستواها فى البلاغة وقوة البيان وسموا المعانى التى يختارها للترجمة .

« ومما لاحظته أن معظم المترجمين وقعوا فى خطأ استعمال كلمة (God) بديلاً عن لفظ الجلالة (الله) ، أما بكتال فلم يستعمل للرب ـ جل وعلا ـ غير (اسم الجلالة) (الله) ، وهذا الاسم له أثر عميق فى نفس القارىء الأوربى أكثر من كلمة (God) الإنجليزية من حيث الحقيقة والأصل » .

« لقد لازمتنى ترجمة بكتال لمعانى القرآن طول أيام مرضى وإقامتى فى المستشفى وقد أعدت قراءتها مراراً وتكراراً حتى تمزقت بعض أوراقها من كثرة تناولها باليد ، فجزى الله بكتال خيراً على مجهوده القيم الذى بذله فى تسهيل فهم معانى القرآن وكونه جعل كتابه هذا سهل التناول والشراء فى أوربا وأمريكا » .

ومنذ سنة ١٩٥٩ م تفرغت لمطالعة ودراسة الكتب الإسلامية ، ولازمت القسم الشرقي بمكتبة نيويورك العامة ؛ حيث عثرت على أربعة مجلدات ضخمة لترجمة كتاب مشكاة المصابيح باللغة الإنجليزية للحاج فضل الرحمن من أهل كلكتا بالهند . فعكفت على قراءتها وتوصلت بعد دراستي لهذا الكتاب إلى أن فهم القرآن جيداً لابد له من دراسة الأحاديث الصحيحة التى جاءت كذلك عن طريق الوحي ، وأن من المستحيل ترجمة معانى القرآن إلا بمعرفة أقوال الرسول الكريم وأحاديثه . وأن الذى لا يؤمن بأحاديث الرسول لا يؤمن بالقرآن ، فالقرآن نفسه يخبرنا بأن :

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠]

ومنذ عكوفى على قراءة ترجمة كتاب المشكاة ازددت يقيناً وإيماناً بأن القرآن لاشك هو كلام الله ، لا كما يقول بعض الأعداء : إنه من تأليف محمد — ﷺ —.

وهناك مسألة شغلت بالى وأنا طفلة ؛ مسألة الموت والخوف منه . وذات ليلة تعرضت لكابوس شنيع وعندما زال عنّى أثره أيقظت والدى وأنا أجهش بالبكاء ، وسألته : لماذا نموت ؟!.. وماذا يحدث بعد الموت ؟! وكثيراً ما أزعجت والدى بمثل هذه الأسئلة ، وكان ردهما على هذه الأسئلة : أن الموت أمر لا مفر منه .. (وكانوا يقولون تطييباً لنفسى : إن الطب تقدم عن ذى قبل . وفى إمكان الإنسان أن يعيش مائة عام !) .. ولم يكن أحد فى الأسرة يؤمن بيوم الدين ، بل يعدون الكلام عنه نوعاً من الأساطير ..

وحاولت أن أبحث عن يوم الدين والآخرة فى التوراة فلم أجد شيئاً يوضح أو يزيل الغموض عن نفسى فى هذا الشأن . وكل ما فهمت من قراءتى للتوراة أن الأنبياء والأولياء والقديسين كلهم ينالون جزاء أعمالهم الحميدة فى هذه الدنيا . وذلك مثل قصة أيوب — عليه السلام — الذى ابتلى بفقد أهله وذويه وجميع محبيه وماله ، ثم ابتلاه الله بالأمراض ؛ ذلك لابتلاء صدقه ويقينه ، وأخيراً تضرع إلى الله من ابتلائه فردّ الله عليه جميع ما فقده من الأرض والمال ، ولا يُذْكَرُ شىء من نعيم الآخرة .

هذا فى التوراة ، وفى الإنجيل وجدت ذكر الآخرة ، ولكن بالمقارنة بما جاء فى القرآن عن الآخرة يعتبر ما ورد فى الإنجيل عنها مبهماً وغامضاً ..

وفلسفة والدى ووالدتى فى هذا الموضوع : أن الإنسان عليه أن يُبعد فكرة الموت عن ذهنه ، ويتمتع بالدنيا ومباهجها بأكبر قدر ممكن ، وينظر إلى الحياة دوماً بمنظار البهجة والسرور ، فالحياة فى نظرهما هى متاع الدنيا وانتهاز أفراحها ومسراتها مع الوئام مع جميع أفراد الأسرة والأصدقاء والعيش الرغد باستخدام جميع وسائل الرفاهية والتسلية كالتى تهيؤها أمريكا لشعبها ..! هذه فلسفتهم فى الحياة وعليها يشجعون أبناءهم كأنهم ضمنوا استمرار السعادة ودوام المباهج والحظ السعيد .. وقد أدركت خلال تجاربى القاسية أن الانغماس فى الملذات دوماً ينتهى بالبؤس والشقاء ، وأن ليس هناك شيء أكثر فائدة من التضحية للعمل الطيب ، ولذلك كنت أحب دائماً القيام بأعمال أكبر من طاقتى كما كنت دائبة التفكير فى أن أقوم بأعمال أثبت بها أننى لم أبدد عمرى فى العبث أوالتوافه ، ومن هنا نشأت عندى الكراهية للعبث والتعلق بالتوافه التى تُعَدّ الصفة السائدة للثقافة المعاصرة » .

« لقد أزعجنى والدى ذات مرة بقوله : ليس هناك شيء خالد الذكر والقيمة ؛ فكل شيء فى هذه الدنيا يتعرض للتغير المستمر فى كل ساعة وكل دقيقة ..! .

لقد انزعجت من قوله هذا ؛ لأنى كنت أفكر دوماً فى الأعمال التى تبقى خالدة ، وقد فهمت من قراءتى لمعانى القرآن أن مثل هذا الطموح أمر ممكن ، فالأعمال الطيبة والحسنات التى يعملها الإنسان فى سبيل الله ومن أجل رضوان الله هى أعمال خالدة وتظل باقية ولن تضيع أبداً .. وإن الإنسان إذا قام بعمل صالح ولم ينل عليه الجزاء فى الدنيا ، فمعناه أن جزاءه قد تأجل إلى يوم القيامة ، أما الذين يعتبرون الحياة كل شيء فى هذا الوجود ؛ فالقرآن يخبرنا عنهم : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** ﴾ .

[الكهف : ١٠٣ ــ ١٠٥]

« فالإسلام يحتم علينا أن نكرس جميع مجهودنا للقيام بواجبات الله وعبادته ، والإحسان إلى الناس وأن نهجر ونبتعد عن كلّ ما لا خير فيه أو الذى يصرفنا

عن التفكير فى النهاية وكل هذه التعاليم القرآنية تؤيدها الأحاديث .

كان أهلى ينظرون إلى المذهب والدين كأية هواية من الهوايات التى يختارها كل إنسان حسب رغبته وميوله ، ولكنى منذ أن بدأت فى قراءة معانى القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب بل هو الحياة بعينها » .

[٤]

لماذا أسلم المستشار القانونى اسكاروس ؟!

(كل الدلائل تؤكد أن الإسلام دين الله الحق)

(صفوت اسكاروس) ..

من مواليد ٤ ابريل سنة ١٩٢٥ م ، بشبين الكوم بمصر .

كان مسيحياً أرثوذكسياً ، وأشهر إسلامه رسمياً فى ١٥ رجب سنة ١٤٠٣ هـ/٢٨ ابريل سنة ١٩٨٣ م حاصل على ليسانس الحقوق وتدرج فى المناصب القضائية حتى وصل إلى منصب مستشار بمحاكم الاستئناف .

عمل مستشاراً قانونياً فى ليبيا لمدة ثمانى سنوات ، ثم عمل خبيراً قانونياً بإدارة الأراضى بدولة قطر .

نشر قصة إسلامه فى مجلة (منار الإسلام) الصادرة من (أبو ظبى) ، كما نشرتها مجلة (البحث الإسلامى) بعددها الثالث من المجلد التاسع والعشرين بتاريخ ذى القعدة سنة ١٤٠٤ هـ/أغسطس سنة ١٩٨٤ م .

ومما نُشِرَ :

« .. انضم (صفوت اسكاروس) إلى الصف المسلم المجاهد ، يذود عن الإسلام وتعاليمه .. وكان لنبأ إسلامه صدى كبير ، وقد دار بين المستشار صفوت وبين الحاقدين الناقمين عليه محاورات ومناقشات » .

لماذا كفرت بدينك ودين آبائك وأجدادك من قبلك واعتنقت دين محمد ؟

وكانت الإجابة :

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ــ بفضله ورحمته ــ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . فمنذ كنت طالباً بالجامعة ــ فى كلية الحقوق ــ وكانت الدراسات تتضمن جانباً ضئيلاً من الشريعة الإسلامية ؛ بيدأنها كانت تثير فى

النفس الكثير من التساؤلات ، حتى ما تلقيته من الصغر فى الكنيسة عن الإسلام ورسوله كان له أثر .. وهذه الكنيسة ـــ كما تعلمون ـــ تصور لنا محمداً ـ ﷺ ـــ مدعياً للنبوة ، وأن القرآن من تأليفه ؛ استمده من التوراة والإنجيل وعادات وتقاليد العرب استمداداً معيباً ومتناقضاً ...!!

وكم قابلت من شيوخ للإسلام ـــ أثناء الدراسة وبعدها ـــ أناروا البصر والبصيرة ، وكشفوا لى الشبهات التى تثار حول الإسلام ، ودحضوا الأباطيل ، وحثونى باسم العقل ، الذى يباركه الإسلام ويكرمه ـــ على التفكير والتدبر وصولاً إلى الحقيقة التى لاتحمل ضغينة لأحد ، وإننى إذ وصلت إليها آمنت بها ، وأعلنتها .

وكانت القضية الكبرى التى تثير قلقى وحيرتى وشكى فى النصرانية هى قضية التوحيد والتثليث فى قولهم : ثلاثة أقانيم فى واحد : الآب والابن والروح القدس ؛ كالشمس لها نورها وشعاعها ودفؤها ، وأن الله جسّد كلمته ـــ فى ابنه الأزلى ـــ تجسيداً ظاهراً ، ورضى بموته على الصليب ، وهو غير مستحق لذلك ، ليكون فداءً للخطيئة الأولى ـــ لآدم ـــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ولم أقتنع بأن يكون الثلاثة فى واحد والواحد فى ثلاثة ، وتشبيههم لله ـــ تعالى ـــ وتركيبه تجسيم يتنزه الإله عنه ، وعدله سبحانه وتعالى يأبى أن يسأل أحداً فضلاً عن أن يجازيه عن ذنب غيره .

ومضيت أدرس وأبحث بنفسى فى التوراة والإنجيل .

ـــ ويسأله مسيحى آخر : وماذا وجدت فى التوراة والإنجيل ؟

الإجابة : وجدت أن ما يطلقون عليه الكتاب المقدس ينقصه السند المتصل إلى صاحبه ؛ الذى يجعل المرء يطمئن إليه ويثق به ، كما وجدت فيه من التناقض الشيء الكثير مما يدل على أن يد التحريف والتبديل قد وصلت إليه .

وفقدان السند المتصل حقيقة يقول بها القساوسة أنفسهم ، ولا أدلّ على ذلك من المناظرة التى جرت بين الشيخ رحمة الله الهندى وبعض القساوسة البروتستانت حول النصرانية ـ والتى أثبتها فى كتابه : (إظهار الحق) ، حيث

اعتذر بعض القسيسيين فى محفل المناظرة فقال : (إن سبب فقدان السند هو وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة) ، والمتصفح فى كتاب الإسناد للكتاب المقدس — التوراة والإنجيل — لا يرى فيه غير الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئاً ، **وما دام الشك قد دخل على الدليل أو المصدر وهو السند ؛ فقد سقط الاحتجاج بمضمونه ؛ أى الكتاب المقدس .**

والتناقض والتضارب الموجودان فى الكتاب المقدس — يؤلف فيهما كتب — ولكن يكفى ما ورد فى التوراة من أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام وأعياه التعب فى اليوم السابع فاستلقى على قفاه ووضع رجلاً على رجل ...!! — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ويكفى ما ورد فى الأناجيل من اختلاف كبير حول المسيح وصلبه .

بل التثليث الوارد فيه هو وليد الأفلاطونية الحديثة كما يقول بحق المفكر الفرنسى (ليون جوتيه) فى كتابه : (المدخل إلى الفلسفة الإسلامية) .

فأفلاطون يرى الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغيير ، ويضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه ، خارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلَيْن فيه — أى تتضمنهما ذاته — صادرَيْن عنه ، دونه فى الكمال . أول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال ، والذى يحوى فى وحدته كل الكمالات ، وهو الذى دعاه النصارى (الآب) ، والثانى مستمد منه وهو الكلمة أو الابن ، والثالث هو دائماً الروح القدس .

وإذا قرنّا بين الكتاب المقدس فى وضعه الحالى والقرآن الكريم — على الرغم من الجهود المضنية المبذولة من اليهود والمستشرقين والمبشرين على تشويه صورة القرآن — فلن نجد نسبة مطلقاً ..

فالسند المتصل الذى وصل به القرآن ثابت لا يتطرق إليه الشك ، فقد أمر الرسول — ﷺ — بكتابة القرآن فى حياته ، وحفظه متفرقاً جملة من الأصحاب ، كما حفظه بعضهم كاملاً على حسب العرضة الأخيرة على الرسول

ـــ ﷺ ـــ، فلما توفى الرسول ـــ ﷺ ـــ واشتد القتل بكثير من حفاظ القرآن الكريم فى اليمامة فى عهد أبى بكر الصديق ـــ رضى الله عنه ـــ، ارتأى أبو بكر ـــ بمشورة عمر بن الخطاب ـــ جمع القرآن ، وكلف بهذه المهمة الشاب الذكى التقى النقى (زيد بن ثابت الأنصارى) ؛ لأنه كان أحد الحفظة للقرآن كله من ناحية ، ومن كُتاب الوحى للرسول ـــ ﷺ ـــ من ناحية أخرى .

وقد قام زيد بهذا العمل على الوجه الأمثل ، فجمع المكتوب من القرآن ، من العسب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقيقة) والرقاع من الجلد وغيره ، ومن صدور الرجال ، حتى أنه وجد آخر سورة التوبة مع (ابن خزيمة الأنصارى) ولم يجدها مع أحد غيره مكتوبة ، وجمع فى عمله بين الحفظ والكتابة ؛ إذ كان لا يكتفى بمجرد وجوده مكتوباً حتى يشهد به مَنْ تلقاه سماعاً ويشهد على تلقيه اثنان من الصحابة ، مع كون زيد كان يحفظه .

ويصف لنا (الحارث المحاسبى ـــ المتوفى سنة ٢٤٣ هـ) جمع القرآن فى عهد أبى بكر فيقول : (كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه ـــ ﷺ ـــ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعسب ، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وُجِدَتْ فى بيت رسول الله ـــ ﷺ ـــ فيها القرآن مفرق ومنتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء) .

وكانت هذه الصحف عند أبى بكر ـــ رضى الله عنه ـــ حتى توفاه الله ، ثم عند عمر ـــ رضى الله عنه ـــ أثناء حياته ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر ـــ رضى الله عنها ـــ.

وفى عهد عثمان ، على أثر الاختلاف فى قراءة القرآن على حسب الأحرف ، رأى عثمان ـــ رضى الله عنه ـــ تشكيل لجنة من أربعة هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ـــ رضى الله عنهم ـــ؛ لنسخ المصحف على رسم واحد ، فحصلت اللجنة على الصحف التى عند حفصة بنت عمر .

وكانوا لا يكتبون فى المصاحف شيئاً إلا بعد أن يعرضوه على مشاهير الصحابة ، ويشهد الجميع بأنه قرآن وأنه لم تنسخ تلاوته ، وأنه استقر فى العرضة الأخيرة .

وقامت اللجنة بالعمل المسند إليها على أكمل وجه ، حتى إنهم اختلفوا فى كتابة لفظ (التابوت) ؛ أتكتب بالهاء (التابوه) أو بالتاء المفتوحة ، فرجعوا فى ذلك إلى عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ، الذى أمرهم بكتابتها بلغة قريش ؛ لأن القرآن نزل بلغتهم ، وهو مصداق قوله تعالى شأنه : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ..** ﴾ [إبراهيم : ٤] .

فجمع القرآن ونسخه ، هو ــ كما قال بحق المفكر الإسلامى (مالك بن نبى) يرحمه الله ــ يعد أول عمل علمى للفكر البشرى ، فريد ، من نوعه ، تحقق به وعد الله بحفظ القرآن : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : ٩] .

فالقرآن كما استقر فى العرضة الأخيرة على سيدنا محمد ــ ﷺ ــ، لم يدخله تحريف أو تبديل ، مما يجعلنا نطمئن إليه ، وإلى أن كل كلمة واردة فيه هى الحق والصدق ، وأنه كتاب الله تعالى الأخير للبشرية لهدايتها إلى الأقوم .

ــ **ويسأل أحدهم** : أتنكر ألوهية المسيح وفى قرآن محمد ما يؤكدها فى قوله : ﴿ **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا** ﴾ [الأنبياء : ٩١] ومن هو أبو المسيح إذا لم يكن هو ابن الله ؟!

الإجابة :

أولاً : القرآن الكريم ليس كلام محمد ولا من تأليف محمد ــ ﷺ ــ، وإنما هو المعجزة الدالة على نبوته على مدار الزمان والمكان ، إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ وما عليها ، فهو الكتاب الذى اتسقت عباراته ومعانيه وأحكامه ومبادئه ، وإن له من الفصاحة والبلاغة وقوة التأثير ما دفع بألدّ أعداء محمد ــ ﷺ ــ إلى أن يقول : « **إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله**

لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر » .

وإذا نظرنا إلى عصرنا الذى يشاد فيه بالعلم وحقائقه ، نجد أن كل حقيقة علمية ثابتة لا تختلف عما ورد فى القرآن إن تعرض لها ، فأين لمحمد ـــ النبى الأمى ـــ ﷺ ـــ الذى لا يقرأ ولا يكتب : العلم بحقائق الكون وعلوم الحياة ؛ التى لم تتوصل إليها البشرية بعد طريق شاق وطويل من المراصد والمعامل والتحاليل ، ويكفى أن نشير إلى ما توصل إليه العلماء من أن أصل البترول وجميع مشتقاته مواد متحولة من نبات مطمور بالتراب والصخور ، أو حيوانات تغذت على النباتات وأخذت من النبات الوقود ، وبهذا تعرف أن جميع أنواع الوقود المستخدمة أصلها من الشجر الأخضر ، ويقرر القرآن هذه الحقيقة فيقول الله تعالى : ﴿ **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون** ﴾ [يٰس : ٨٠]

وقد كتب عن القرآن والعلم كتب كثيرة ، من أهمها ما ألفه (الغازى أحمد مختار باشا ـــ العثمانى) ـــ بعنوان : (سرائر القرآن فى تكوين وفناء وإعادة الأكوان) ، ضمنه تسعين آية قرآنية ، هى أصل من أصول العلوم التطبيقية الحديثة ، وقد نقل هذا الكتاب من التركية إلى العربية السيد محب الدين الخطيب (يرحمه الله) .

وحسبك ما يكتبه موريس بوكاى الفرنسى ، عن القرآن والتوراة والعلم ، مما يؤكد أن القرآن هو كلام الله تعالى ، وأن التوراة قد تناولتها يد التحريف والتبديل .

وأما جزء الآية التى استندتم إليها لو أتممتموها لوجدتم إجابتكم ، فالله تعالى يقول : ﴿ **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** ﴾ .. [الأنبياء : ٩١] .

فالنفخ من الله كما خلق آدم فقال : ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾ [ص : ٧٢] ، وقال : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**

ثم قال له كن فيكون * الحق من ربّك فلاتكن من الممترين ﴾
[آل عمران : ٥٩ ، ٦٠] .

ونسب الابن إلى مريم البتول فى هذه الآية وفى غيرها ، فالله يقول : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت ربِّ أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ .
[آل عمران : ٤٥ — ٤٧]

وعلام تشككون فى قدرة الله ؟!.. ألم يخلق آدم من غير أب ولا أم ؟! .. فخلقه أعجب من خلق عيسى ، فعيسى خُلِقَ من أنثى من نوعه .. والله تعالى لا يتقيد بالأسباب الجارية ، فهو خالقها ومبدعها ومريدها ، وإنه يقول للشيء كن فيكون ، فسبحان الله عما تشكون .

والقرآن يبين لكم الحق ؛ وهو أن عيسى — عليه السلام — بشر ، وأنه رسول الله إلى بنى إسرائيل ، وأن رسالته كانت الدعوة إلى توحيد الله وبيان أن ذاته — سبحانه وتعالى — ليست بمركبة ، وليست صفاته مشابهة ، وأنه يتنزه عن الولد . قال الله تعالى : ﴿ يٰأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم . إنما الله إلٰه واحد سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾ .
[النساء : ١٧٠]

وقال — جل شأنه —: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً * أن دعوْا للرحمن ولداً * وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾
[مريم : ٨٨ — ٩٢]

وقال تعالى : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلّا رسول قَدْ خلت مِنْ قبله الرسل وأمه صِدّيقة . كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبيّن لهم الآيات . ثم انظر أنّى يؤفكون ﴾ ..

[المائدة : ٧٥]

فقد قرن الله لفظ المسيح بكلمة (ابن مريم) ، ليلفت الأنظار إلى أنه ابن مريم لا ابن الله . وبين أن المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام ، ومن أكل الطعام تحول الطعام فى جسمه دماً ولحماً وعظماً ، وينضح عرقاً ، ويخرج فضلاته التى لو بقيت فى الجسم لأضرته .. وكما قال بحق الدكتور عبد الحليم محمود ، فى كتابه (التفكير الفلسفى فى الإسلام) : إن كائناً من هذا النمط لا يمكن إلا أن يكون خاضعاً لكل القوانين البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى مرتبته كرسول .

ويصور القرآن محاكمة مقبلة — يوم القيامة — تبرىء عيسى مما ألصقه به أتباعه من التثليث وتدينهم ؛ فيقول الله تعالى شأنه وقوله الحق ووعده الصدق :
﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

[المائدة : ١١٦ — ١١٨]

ويسأل ثالث : أتنكر ألوهية المسيح وقد أحيا الموتى ، وشفى المرضى ، وأنبأ بالغيب ؟

الإجابة :

أعوذ بالله من قولكم هذا ، والقرآن يعلن لكم الحقيقة ويهديكم إلى سواء

السبيل ، فالله يذكر على لسان عيسى : ﴿ **أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ ..

[آل عمران : ٤٩]

فهذه الآية البينة واضحة الدلالة على أن الخلق وإحياء الموتى هو فى الحقيقة بيد الله تعالى ؛ وإنما جرى على يد المسيح ليكون دليلاً مادياً قاطعاً على صدق نبوته ، كما أن إبراءه للأكمه والأبرص فى عصر اشتهر بالتقدم فى علم الطب مع عجزهم عن علاج هذه الأمراض ؛ يجعل أهل الطب والمشاهدين لحالة يؤمنون به وبرسالته .

كما أن ميلاده من غير أب دليل وآية على وجود الروح التى شاع فى زمن مبعثه إنكارها ؛ فهكذا كان عيسى ابن مريم .. مولده .. ونطقه فى المهد .. وإنزال الله المائدة لحوارييه من السماء ليأكلوا منها ولتطمئن قلوبهم بناء على طلبهم ؛ فالله تعالى يقول : ﴿ **إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللّهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إنى منزلها عليكم . فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين** ﴾

[المائدة : ١١٢ ــ ١١٥]

هكذا كانت معجزة عيسى بن مريم ــ عليهما السلام ــ، تتناسب مع عصره وزمانه كما كانت معجزة محمد ــ ﷺ ــ تتناسب مع عصره من ناحية ، ومع كل عصر من ناحية أخرى لأن رسالته للعالمين .

ــ **ويسأل آخر** : أتنكر صلب المسيح وقتله فداء لخطيئة آدم ؟

يقول الله تعالى رداً على اليهود الذين قالوا : ﴿ **إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن** ﴾

[النساء : ١٥٧]

والآية صريحة فى أن عيسى ابن مريم لم يقتل ولم يصلب كما زعمتم ، ولكن وقع الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى ، وهم إنما صلبوا غيره .

وفى إنجيل برنابا : إن من وشى بعيسى ألقى الله عليه شبه عيسى فقبض عليه ، وأرتج عليه وأسكته الله فنفذ فيه حكم الصلب .

والله تعالى يقول : ﴿ **وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه** ﴾

[النساء : ١٥٧ ، ١٥٨]

ويقول : ﴿ **إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا** ﴾ [آل عمران : ٥٥]

أما قولكم : إن المسيح هو الذى يكفر الخطايا عن العالم ، وأنه الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون فى الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتران العدل بالرحمة وتوسيط الابن الوحيد وقبوله التكفير عن الخطايا الخلق ؛ قرب الناس من الرب بعد الابتعاد ، وكان التكفير الذى قام به المسيح هو الصلب .

فإن القرآن الكريم قص عليكم بالحق قصة أبويكما آدم وحواء وخطئهما وموقف الله من ندمهما وتوبتهما ، فوضع المسألة وضعها الصحيح دون تحريف أو تبديل .

يقول الله تعالى : ﴿ .. **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾ [البقرة : ٣٧]

هذا هو الحق ؛ فليس هناك وساطة أو فداء عن الخطيئة ، والعدل والرحمة حقاً ألا يسأل إنسان عن ذنب غيره ؛ وهو المبدأ الذى قرره الإسلام : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [فاطر : ١٨] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... ا . هـ

خاتمة

هذا الكتاب كما قلنا : مجرد رسالة متوسطة الحجم .. وما من فقرة من فقراته إلا وقد عالجناها بتوسع فى كتابنا الموسع (القضية ناجحة ، فأين الخامون) ، وما لم يعالج به فهو آت فى كتب أخرى إن شاء الله تعالى .

والواقع أننى حتى الآن لست أدرى كيف تقتنع جماهير غفيرة بأسطورة الصلب هذه لابن الله بَلْهَ بنوة المسيح لله !! حتى ولو كانت هذه الجماهير أسيرة وارثة عن الآباء والأجداد ؛ خاصة أنهم ثاروا على جلّ مواريث الآباء والأجداد الفكرية والعملية والخلقية والسلوكية ..! والمسألة كلها بدهية ومنطقية ، فمادمت مؤمناً بالله صاحب العظمة المطلقة ، والكمال المطلق ؛ فإن البنوة نقص فى هذا الكمال غير جائز فى حق الله ــ عز وجل ــ.. ورحمة الله بعباده لا تقتضى بتة ابتكار مثل هذه التمثيلية الغريبة التى تقمص فيها ابنه دور البشر ليصلب فداء لخطيئة الأب آدم ــ عليه السلام ــ، ثم يقوم الابن بعد الصلب من قبره ليجلس عن يمين الأب ..!!

كما أن عدله جلّ جلاله يتنافى مع فكرة توريث أبناء آدم ذنبه ؛ خاصة أنه تاب منه وعفا الله عنه كما جاء فى القرآن الكريم ، والعدل كل العدل أن ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ [الطور : ٢١] ، وأنه : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

من هنا ؛ فإنه ما من يوم تطلع شمسه إلا ونرى عشرات وعشرات يدخلون فى دين الله الإسلام ؛ لسبب بسيط هو أن الإسلام دين الله الحق .. لا غموض .. لا أسرار .. لا طلاسم .. لا متناقضات ..

ثم أقول : ليس مكسباً للإسلام أن يدخل رجل أو امرأة فيه ، ولكن المكسب لكل رجل أو امرأة هو أن يسلم لله ، فهو الرابح .. وهى الرابحة ..

ولهذا الربح لقول لكل من يسلم : حمداً لله على إسلامك ، وثق بأنك الرابح دنيا وآخرة :

المؤلف

محمد عيسى داود

كتب للمؤلف

١ ــ زاد الصالحين والدعاة إلى طريق الهدى والنجاه (الجزء الأول)
الطبعة الأولى نفدت بالمملكة العربية السعودية .

٢ ــ إليك خمسين رنده (الجزء الأول)

٣ ــ علاج النسيان وكيف تجعل ذاكرتك قوية .

مخطوطات

١ ــ القضية ناجحة فأين المحامون .
٢ ــ زاد الصالحين والدعاه (الجزء الثانى)
٣ ــ إليك خمسين رنده (الجزء الثانى)
٤ ــ المخدرات ...الغول القاتل .
٥ ــ جرح فى زمنى .
٦ ــ حوار صحفى مع الجنى المسلم مصطفى كنجور .
٧ ــ اليسر بعد العسر .
٨ ــ شيء من الوعى .

المؤلف فى سطور

☐ من مواليد الشرقية (الإسماعيلية) سنة ١٩٥٧ م .

☐ نشأ وتعلّم بالقاهرة .

☐ حاصل على ليسانس الآداب ـــ جامعة القاهرة .

☐ بدأ حياته الوظيفية بجريدة أخبار اليوم محرراً ومراجعاً ، كما عمل بمجال الدعوة محاضراً .

☐ عمل بجريدة الندوة بالمملكة العربية السعودية وارتقى حتى أصبح مشرفاً عاماً على صفحة يومية بها .

☐ قدّم استقالته ليتفرغ للعطاء العلمى والثقافى وإدارة أعماله الخاصة .

☐ له مئات المقالات والأبحاث فى الدين والأدب واللغة والسياسة والاجتماع ، نشرت بالصحف والمجلات المصرية والعربية .

☐ عضو نقابة الصحفيين المصرية .

☐ عضو المنظمة الصحفية العالمية O.I.P

☐ يؤمن بأن ما كان من القلب وصل إلى القلب ، وما كان من اللسان لم يتجاوز الآذان .

العنوان الدائم لمراسلات الكاتب :

ج . م . ع/القاهرة ـــ ٦ شارع على شريف/منيل الروضة

الرمز البريدى : ١١٤٥١ ـــ هاتف : ٣٦٣٤٠١٣

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الإهداء ٥
لماذا هذا الكتاب ؟ ٧
وما من إله إلا إله واحد ٢٣
مناقشة عقلية لفكرة الأقنومية ٣٩
لماذا أسلم هؤلاء ؟ ٥٧
[١] المسيو إتين دينيه يصبح (ناصر الدين) ! ٥٨
[٢] انطونيوس مقار (قسيس من أرخبيل الملايو بأندونيسيا) ٦٥
[٣] كيف إهتديت إلى الإسلام ؟
(قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميله) ٧٢
[٤] لماذا أسلم المستشار القانونى أسكاروس ؟
(كل الدلائل تؤكد أن الإسلام دين الله الحق) ٧٩
خاتمة ٩١
كتب المؤلف ٩٢
مخطوطات ٩٢
المؤلف فى سطور ٩٣
الفهرس ٩٥

رقم الإيداع
٩١/٥٧١٤

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية ،

مكتبة الساعي

الرياض ت ٤٣٥٢٧٦٨ - فاكس ٤٣٥٥٩٤٥
فرع جدة - تليفون ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة - ت ٣٢٢١٤٢٤
المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥

To: www.al-mostafa.com